آخر ليالي الشتاء



آخر ليالى الشتاء

زينب صادق

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

الكتـــاب : آخر ليالي الشتاء
المحـــقق : دكتورة / زينب صادق
تاريخ النشر : ١٩٩٨م

الناشـــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب
شركة مساهمة مصرية
المركز الرئيسي : مدينة العاشر من رمضان
والمطـابـع : المنطقة الصناعية (C1)
ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧
الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون
الدور الأول - شقة ٦
ت ، ف : ٢٤٧٤٠٣٨
التـوزيـع : ١٠ شارع كامل صدقي الفجالة (القاهرة)
رقم الإيـداع : ٩٧/٧٥٧٤
الترقيم الـدولـي : I. S. B. N.
977 - 5810 -36- 1

بسم الله الرحمن الرحيم



جلس الرجل واضعا ساقا فوق ساق، يحرك ساقه العليا جيئة وذهابا فيواجه نعل حذائه وجه الجالسة أمامه، شفتاه تتحركان بحديث لا تسمعه. عودت أذنيها ألا تسمع ما يقوله، شيء في داخلها يقول لها :

"انظرى إليه، لا تبعدى نظرك عنه انظرى إليه حتى تقتنعى بقرارك، لا تخافى عاطفة البغض، فقد ذهبت عنك، استمعى اليه وهو يقول حديثه الرذيل المعاد فى أى شىء تحتاجين إليه؟. لا شئ أعطاه لك. لا شئ مما حلمت به ورغبته. أى شىء تحتاجينه منه؟ انظرى إليه لتتذكرى عذاباتك الطويلة فى سنين كثيرة. لتتذكرى دموعك وذلة نفسك وجسدك. أنظرى إليه حتى لا تندمى على قرارك".

"هناء ... هناء".

الرجل يناديها. طلب منها شئ لم تسمعه.

"من الذى أطلق عليك هذا الاسم الخرافى ؟ هناء ..

أبوك .. أين أنت يا أبى لترى ماذا حدث لهنائك؟".

قام الرجل. وقف أمامها ليشعرها بوجوده.

"هنـــاء ألا تســـمعينني. ســـأذهب هـــذا الصبــــاح إلـــى المزرعـــة وسأســـافر الأســـبوع القـــادم إلـــى أوروبـــا. حقيبـــة سفري التـى تضعيــن فيهـا أشـياءك إفرغيهـا.". نظـرت إليـه وقـد تجمعـت أمامهـا عذابـات سـنين طويلـة. وغطرسـة أيـام كثيرة وقـالت : "أريـد أن أتحـدث معـك".

نظر إليها مرتابا. كأنه يسـمع صوتـا ليـس صوتهـا. يـأتى من أعماق أعماقها. صوت غريب سألها: "ماذا تريدين؟"

ـ "أريد أن أتحدث معك"

صمت لحظة. ابتعد عنها قليلا.

قـال ـ فـى المسـاء سنخرج فـى نزهــة . ســأدعوك إلـــى العشاء. وسنتحدث. هل نسيت اليوم عيد زواجنا السابع.

هزت رأسها. إنها لا تنســى. وتعجبـت مـن دعوتـه. هكذا هو عندما يشعر بـالخطر يهدده يدعوهـا ليسـترضيها. لكـن هـل يمكن الآن أن يسترضيها؟!.

قـال مبتسـما بسـخرية. "ألا تقوليـن عقبـــال عيـد زواجنـا العاشر وتقبلينني بشفتيك الجميلتين قبلة طويلة".

نظرت إليه ولم تتحرك. اغتاظت من صوته وسخريته كادت تقول له شيئا ثم عدلت. سألها وهو يتجه نحو الباب "أين تريدين تناول العشاء؟"

ذكرت اسم مطعم فخم من الدرجة الأولى. توقف قليلا عند سماع اسم المكان. لكنه قرر أن يسترضيها.

قال :"سأقابلك هناك الساعة التاسعة".

❀ ❀ ❀

اليوم أجازة هناء من عملها. اليوم ذكرى. اليوم ستمضيه وحيدة. لتتذكر أحداث تلك السنوات. لكن ليس فقط بتذكر الأحداث يتخذ الانسان قراره. ليس فقط بتذكر العذابات يتخذ قراره. العذابات فى نفسه. تتراكم. تكبر. تصبح مثل جثة فى نفسه. تثقل جسده.تميت روحه. لابد أن يخرج الانسان هذه الجثة من نفسه. من جسده. ينفض عنه العذابات المتراكمة الثقيلة.

"أعرف أننى تعبت. وربما سأتعب من قرارى. انه قرار رذيل وسخيف فى حياة الانسان. لكن لابد أن يتحمل فترة

حدوثه لتكن فترة وتمر. أفضل من بقاء العذابات والآلام والأمراض الغامضة المجهولة.".

ارتعشت يدها وهى تشعل سيجارة.

"ليست هناك امرأة فى هذا العالم تسعى إلى هذا القرار إلا إذا كانت قد يئست تماما من الآخر. وقد تحملت هذا اليأس على أمل الاصلاح .. ولكن..". نظرت هناء إلى السماء خلال زجاج النافذة. السحب رمادية والجو قاتم.

"لقد دفعت الضريبة كاملة ياسماء .. ضريبة جهلى بحقيقة الأشياء والناس. ضريبة عدم استخدام العقل والجري وراء الخيالات الواهمة. دفعت الضريبة كاملة."

فتحت النافذة. ارتعد جسدها من لسعة هواء باردة. ضمت روبها حول صدرها.

"لتكن غمة العذابات مع غمة الشتاء. ولتنجلى الغمتان. معا . أحلم بالربيع. أحلم بزهور متفتحة. ساطعة بنسمة ريح عطره. أحلم بنغمة حقيقية صادقة تطرق قلبى. أسمعها بصدق. كما تكون نابعة بصدق. أحلم بالأحلام الجميلة. لم يبق لى سوي

الأحلام، لأعيش فيها. لاستنشقها. لتؤنس ليلي اذا جاء وحيدا. لتسعد يومى إذا جاء وحديا. لم يبقى لى سوى الأحلام. حتى بيتى الخاص. ليكن ضمن أحلام عديدة ليس مهما أن تتحقق أحلام الانسان مباشرة. المهم أن يكون دائما له القدرة على أن يحلم حتى يستطيع الاستمرار المهم ألا يفقد الثقة فى أحلامه. ماذا سيبقى له اذا فقد الثقة فى احلامه؟".

ارتدت هناء الثوب الأسود.

"السواد يليق بهذا اليوم. الاسود اللون المضاد للأبيض الذى ارتديته مثل هذا اليوم منذ سبع سنوات. وكان اللون الأبيض بداية تلك السنوات السوداء. ربما اللون الأسود الذى ارتديه اليوم يكون بداية لسنوات بيضاء.! رأسى ستنفجر من الصداع. يفلقه نصفين. الحبوب المسكنة لهذا النوع من الصداع تجعلى أنام. لأستنشق الهواء البارد. ربما ينعشنى ويزيل الصداع. أعرف ماذا سيزيل صداعى. ليس الهواء البارد ولا الأقراص.. منذ متى بدأت تأتينى هذه النوبات المجنونة من الصداع؟!".



ذهبت هناء إلى معرض فني. تجولت بين اللوحات امتلأت بشحنة من الفن. سلم عليها الفنان صاحب المعرض نظر إليها طويلا. شعرها أسود. ملابسها سوداء. وبقعة بيضاء يتردد فيها اللون الأسود. حاجبان. عينان سوداوان كبيرتان. تلمعان. يزيد من اتساعهما أهدابها الطويلة السوداء..

قال الفنان - "يناسبك اللون الأسود".

همست - "يناسب اليوم اللون الأسود".

نظر إليها ولم يفهم. خرجت من المعرض. وقفت في الحديقة الملحقة بصالة العرض. السماء رمادية. الزرع أخضر. والنيل ينساب بهدوء بجانب الحديقة وقفت هناء تتأمل المنظر.

من زمن وهي تريد أن تتفرغ للفن. لترسم لوحات فنية وتبدع. كانت لها تجارب عديدة على فترات متباعدة في سني حياتها. بعض اللوحات الفنية نقلتها من صور لمناظر طبيعية لكنها لم تعجبها. هي لم تدرس في كلية الفنون. لكنها تحب هذا الفن. ربما لان اباها كان محبا للفنون الرفيعة. فتفتحت عيناها منذ طفولتها على لوحات كلاسيكية. وبعضها عالمي. وتفتحت اذناها على الموسيقى الكلاسيكية. كانت تجلس بالساعات بجوار

ابيها تستمع إلى هذا الفن. وكان عمها الوحيد رساما. ثم تحول إلى التصوير الفوتوغرافى. ثم السينمائى. وبالرغم من هذا الجو الفنى الذى نشأت فيه الا أن أباها أقنعها أن تتعلم تعليما جامعيا لتعمل به. أما الرسم فيمكنها أن تشبع هوايتها له فى معهد مسائى أو تحت اشراف عمها. ومع هذا لم تعمل بشهادتها الجامعية بل بشهادة تقدير من معهد خاص للفن. التحقت به فى السنتين الأخيرتين من دراستها الجامعية. بواسطة من أحد أقرباء ابيها عينت فى دار نشر كبيرة. ماذا تصنع خريجة اجتماع فى دار كهذه.

قدمت شهادة التقدير الفنية امتحنوها وعينت فى قسم الرسم. وبالرغم من أن عملها فى رسم أغلفة الكتب ورسوماتها الداخلية يشبع هوايتها فى القراءة والتخيل الا أن حلمها أن ترسم لوحات فنية وليست تجارية مازال يلازمها ويراودها. حلم أن تتفرغ للرسم الفنى وتقيم معارض ويكتب عنها النقاد وتظهر صورها فى الصحف. وتشترك فى معارض فنية عالمية ثم تطوف بلوحاتها فى بلاد العالم. مازالت قادرة على أن تحلم شعرت لحظة بنشوة القدرة على الحلم.

"سأرسم لوحة فنيـة عظيمـة. سـأضع فـى الخلفيـة اشـجارا جرداء وبيتا محطما. أشلاء أشياء كثيرة تحيطها خيوط هائلة من خيوط العنكبوت. كأنها ستار كثيـف يحجـب الحطـام. فـى وسـط اللوحة سأرسم نفسى. غير محددة الملامح سـائرة وظهـرى إلـى هذه الخلفية برداء اسود. لا .. برداء أبيض. لا .. برداء وردى. اللون الوردى يليق بالأمل الذى اسـير نحـوه. يصنـع بقعـة لـون جميلة تقابل الخلفية الرماديـة. فـى مقدمـة اللوحـة سـأضع اللـون الرمادى المائل إلى الأبيض يتخلله شعاع من نفس لـون الـرداء. وردى شعاع من ضوء الشمس. ضوء الفجر يعلن عن ظهوره".

فرحت هناء بالفكرة التى سترسمها وتدخل بهـا إلـى عـالم الفن. ملأت رأسها. سارت كأنها تعطى ظهرها للماضى وخيوط العنكبوت التى تصنع ستارا فوقه. رياح باردة تحمل رذاذ مطر. فوق وجهها. تلسع وجهها. تبكى فوق وجهها.

"كـان ذلـك اليـوم منـذ سـبع سـنوات بـاردا أيضـا. وكنــت ارتدى اللون الأبيض. كنت أحلم بـالدفء بجواره. اقـترب بـائع بجـوار سيارته يحمـل عقـودا مـن زهـور بيضـاء. قـال البـائع مبتهجاً. فل للعروسة. قلت له هذه ليست زهـور فـل وهـذا ليـس

أوان ظهورها. لكنه أكد قول البائع أنها عقود فل واشترى لي عقدا. أخذته مجاملة. كانت زهورا بيضاء رائحتها عطنة. وضعت العقد بجانبى. لم تكن زهور الفل التى أحبها. حتى عقد الفل كان خدعة .. قالوا لابد أن تأخذ صورة للعروسين صورة للذكرى نظرت إلى الوجوه حولى كانت وجوها لاناس لم أحب أن أقضى الليلة معهم فى الملهى الليلى لكن هم الذين عرضوا عليه الفكرة والدعوة فكيف يرفض !. لم أستطع أن أفرح معهم ولا معه. قالوا ملامح وجهك فى الصورة تبكى. العروس من الفرحة تبكى. وكانت ملامح وجهى باكية حقيقة لكن ليس من الفرحة. بل من مجهول لا أدريه ويخيفنى وتحاشيت شعورى حتى لا أفسد الليلة. لكن عيون الكاميرا تفضح".



قبل عقد القران بأسبوع اختلفا على شئ هام. أين يمضيان شهر أو أسبوع العسل. لم يكن لهما بيت ليذهبا اليه. اقترحت هى أن يسافرا إلى أسوان وينعما بأسبوع فى فندق وسط مناظر الطبيعة. وتحت الشمس الدافئة لم يوافق. واقترح هو أن يذهبا إلى الاسكندرية. هناك شقة لصديق له يمكن أن ينزلا فيها

اسبوعا. وافقت على أن ينزلا فى فندق. لم يوافق. فهو لا يحب الفنادق. ثم سألها لماذا تفكر تفكيرا تقليديا وهو قد اختارها لأنها مختلفة عن بنات جنسها. لماذا تخيب ظنه بهذا التفكير التقليدى. واقتنعت برأيه. ومنت نفسها أن تسافر معه فى الصيف إلى أوربا كما وعدها يوما. ويكون قد وجد شقة وأسسها. فيذهبا إليها بعد عودتهما من الرحلة. لقد اتفقا ألا يدفع مهرا ويؤثث ما يستطيعه. وتكمل هى ما تستطيعه. منت نفسها بشهر عسل حقيقى وقبلت التأجيل. لكن هذا الشهر لم يأت أبدا.

بعد سهرة عقد القران فى الملهى الليلى. وعندما وقف بسيارته أمام منزلها.

قال ـ كنت انتظر منك الليلة أن تصنعى لى مفاجأة.

ـ أى مفاجأة ؟

ـ أن تحملى حقيبة ملابسك وتأتى لتعيش معنا فى البيت.

ـ لم نتفق على هذا.

ـ نعم لم نتفق. لذلك قلت انتظرت أن تصنعى لى مفاجأة.

ـ ولماذا فكرت فى ..

قال مقاطعا. منفجرا بكلام لم يفصح به من قبل..

- لأن التى تسعى للزواج من رجل عاش سنين طويلة رافضا فكرة الزواج كان لابد أن تحمل حقيبة ملابسها وتذهب معه حيث يكون وتعيش معه تحت أى ظروف .. أو تكون المفاجأة أنك قد أعددت حجرتك لأعيش معكم.

بالرغم من أنها كانت تشعر بما سيقوله من مناقشات سابقة بينهما. الا أنها لم تكن تتوقع أن يقوله فى هذه الليلة بالذات ويفتح مجالا لمثل هذه المناقشة فى الساعات الأخيرة من الليل ويفسد عليها اى شعور بالفرحة.

قالت - لم نتفق على هذا وقد تحدثنا من قبل فى هذا الموضوع. وشرحت لك أنى أريد أن نبدأ حياتنا معا وحدنا. مادمت قادرا على هذا وليس فى بيتكم مع أبيك وابنى أخيك وليس في بيتنا مع والداى. وأخى وخصوصاً أن أبى مريض الآن. شرحت لك الاسباب، وهذا ليس وقتا مناسبا لاعادتها. وكان يمكنك أن تستمر فى رفض الزواج ولا داعى لإهانتى بأننى التى سعيت اليك وربما أجبرتك.

وتهدج صوتها بعبارتها الأخيرة. ولمعت عيناهـا بـالدموع فاحتضنها وقبلها. وقال ملاطفا إنه على العكس يكبر فيها سـعيها إليه إقناعه بـالزواج منهـا. ولا يصـح أن تبكـى فـى ليلـة تحقيـق هدفهـا. ابتسـمت ابتسـامة حزينـة مغتاظـة مـن جملتـه الأخـيرة وانفلتت من جواره.

"فـى صبـاح تلـك الليلـة وجـدت نفسـى أتمتـم بمـا قالتـه "العذراء" مريم يوما .. ياليتنى مت قبل هذا وكنـت نسـيا منسـيا ... وسألت نفسي ما هو الـ هذا بالنسبة لى الذى اتمنى أننـى قـد مت قبله هل هو هذا اليوم البعيد الذى قابلته فيه أول مرة ؟ كـان يوما حزينا مفزعا. وشاهدنى بذلك الفزع. ولا أنكر أنه قد وقـف بجانبى وساندني وكان شهما مـا هـو الــ هـذا بالنسـبة لـى الـذي أتمنى اننى قد مت قبلـه؟. هـل هـو هـذا الشـعور بـالخوف الـذى جعلنى اتعلق به وأحبه؟

عندما وجدت الرجل الكبير يتهاوي. خفت الحياة والمـوت والوحدة والفقر. ونظرت إلى الرجل الذى وقف بجانبى فى تلـك المحنـة. وتعلقـت بـه ليحمينـى مـن كـل مخـاوفى بمـا يملكـه مـن قدرات معنوية ومادية ما هو الـ هذا بالنسبة لي الذى أتمنى أننـى

قد مت قبله؟ هل هو هذا اليوم الذى قال فيه اننى قد حققت هدفى وتزوجت؟!. وبكيت اياما طويلة بعد عقد القران. كأنى كنت أحب شخصا وارتبطت بآخر لا أحبه.

❀ ❀ ❀

تعبت هناء من السير. ورذاذ المطر الذى يسقط فوق وجها ورأسها من حين لآخر. وقررت أن تذهب إلى فندق يطل على النيل لتجلس فى المطعم تتناول طعام الغذاء وتنظر إلى النيل والسماء والمطر وذكرياتها من خلف زجاج المطعم. فهى تريد أن تبقى طول اليوم وحدها. هادئة مع ذكرياتها لا تريد أن تعود إلى المنزل فيقطع أحد افكارها أو يخرجها من هدوئها. هى تريد أن تكون هائدة تماما إلى أن تلقاه فى المساء. فهذه ليست ثورة غضب تريد أن تفرغها. ويعتذر أن يسترضيها ثم تعود إليه. هذا قرار تريد أن تقوله. اتخذته من ذاتها. لم يدفعها إليه أحد سوي هذا الرجل زوجها.

❀ ❀ ❀

خرج الرجل مندفعا إلى سيارته وقد تكدر من قول زوجته انها تريد أن تتحدث معه. لم يسترح لنغمتها وهى تقول ذلك. لقد

اختارت مكانا فخما لتتحدث فيه معه. ليكن. ليرضيها. ليصالحها إذا كانت غضبى. ما هذا الذى تريد أن تقوله. ليحتفل بهذه الذكرى لزواجهما. إنقبض قلبه قليلا. ثم انبسط عند خروجه من القاهرة إلى الطريق الزراعى المؤدى إلى أرضهم أو المزرعة كما يسميها فى أول أراضى الصعيد. ما الذى جعله يتزوج؟

تكدر من سؤاله هذا لنفسه. واخرج رأسه من نافذة سيارته سب سائق سيارة أجرة من سيارات الأقاليم توقف أمامه فجأة. قال له "يا حمار". وانحرف بسيارته قليلا عن الطريق ثم انطلق مسرعا.

لقد عاش سنين طويلة منفردا. طليقا. كالطائر. تعود على عدم الاستقرار فى مكان واحد. بحكم ظروف حياته وتربيته. كان أبوه ضابط شرطة. وكان ينتقل بعائلته المكونة من زوجة وولدين وبنتين من بلد إلى بلد فى انحاء القطر حسب مقتضيات عمله.

كان ضابطا حازما ومخيفا. طويل القامة. ممتلئ الجسم. متغطرس الوجه. وكانت صورته العامة هذه تكفى لبعث الخوف فى نفوس المجرمين. لذلك كانوا يختارونه للعمل فى المناطق

التى تكثر فيها حوادث الاجرام والتهريب. وكـان لا يجد سـعادة فى عمله إلا فى هذه المناطق. وقد عاش سنين طويلة من حياتـه فى صعيد مصر متنقـلا بين بـلاده. خصوصـا فـى الفترة التـى عمل فيها "مأمورا" وكـان مـأمور القسـم فـى ذلـك الزمـن. زمـن الملكية. ملكا فى البلد التى يعمل بها. كـان تقريبـا لا ينفـق شـيئا من مرتبه. وهذا المأمور بالذات كانت له هيبته. كان أهالى البلـد يتوددون إليه. يجد بيتا بحديقة فى انتظـاره. واحيانـا يختـار هـو البيت فيخرجـون منـه سـكانه. وكـان صـاحب البيـت يـأخذ منـه ايجـارا رمزيـا.. والحديقـة دائمـا ممتلئـة باشـجار الفاكهـة وبالخضروات وبالطيور المهداة من الاهالى.

كانت كل أسباب المعيشة متوافرة له ولعائلته بربـع ثمنهـا ان لم تكن بلا ثمن على الاطلاق.

ومدرسـون المـدارس ومدرسـاتها دائمـا فـى خدمـة أبنـاء وبنـات المـأمور. وكـان أصحـاب الأراضـى الأغنيـاء يتسـابقون لخطبة إبنتى المأمور لابنائهم. وبالرغم مـن أنـه قد صمم علـى تعليم البنتين أولاً. إلا أنه قرر أيضاً أن يزوجهما وهو فى مجده.

علمهما حتى المرحلة الثانوية. واختار لهما شابين من أبناء أصحاب الأراضى.

أما الولدان فكان يريدهما أن يصبحا مثله ضابطى شرطة. وكان يقول لهما وبالممارسة العملية كيف أن ضابط البوليس يعيش أحسن من الملك خصوصا فى تلك البلد الصغيرة وكان الولدان مثل أبيهما فى طول القامة وامتلائهما. إلا أن ملامح وجهيهما كانت مختلفة.

فيها شئ من المرح والسماحة. ولما كان الابن الاكبر اكثر التصاقا بأبيه فقد تشرب منهجه فى الحياة وصار ضابط شرطة. وتزوج من ابنة أحد الأثرياء وأنجب ولدين. وعاش ملكا صغيرا. إلى ان قتل فى إحدى طلعاته الهجومية على معاقل المجرمين فى مغارات الجبال فى الصعيد. وقيل إن الذى قتله أحد أصدقائه المهربين. ولم يعرف أحد سبب خلاف الصديقين. كان الضابط الكبير الأب قد تقاعد ولم تعد له سلطة كبيرة. وقال إنه قد حذر ابنة المتهور من مخاطر المهنة كثيرا. وأن هناك فرقا بين الشجاعة والتهور.

وكانت الأرملة صغيرة فتزوجت من قريب لها. وتركت الطفلين لأهل زوجها بعد أن رفضت أمهما حضانتهما. فاحتضنتهما جدتهما وجدهما الضابط المتقاعد. وبالرغم من وفاة الجدة بعدها بخمس سنوات إلا أن الطفلين بقيا فى رعاية الجد والابن الأصغر الذى لم ينهج نهج أبيه فى الحياة. ودرس فى كلية الزراعة وتفرغ للأرض الذى اشتراها والده من نقوده ونقود ابنه المتوفى.

لقد تربى على أنهم أسياد فى المكان الذى يحلون به. كان أبوه الحاكم بلا منازع فكيف يعمل فى مكان يكون فيه مرءوسا. ومن المستحيل أن يعين مباشرة مديرا. لم يحب أن يكون موظفا لذلك أخذ مسئولية الأرض ليكون مديرا ورئيسا وسيدا.

وقد تمنى يوما أن يكون زعيما سياسيا أو مناضلا يشار إليه بالبطولة. فالتحق بمعسكر مقاومة للاخوان المسلمين وتدرب على حمل السلاح. واشترك معهم فترة فى حرب مقاومة الانجليز على خط القنال. لكنه أدرك أنه لن يكون زعيما بينهم. لم يستطع الاندماج معهم. ولما حدث حريق القاهرة عام ١٩٥٢ وأغلقوا معسكرات المقاومة. كان تقريبا بعيدا عنهم.

وعندما قبضوا على زعماء الاخوان المسلمين وجماعاتهم بعد الثورة. هنأ نفسه بالابتعاد عنهم فى الوقت المناسب. لكن ظلت فكرة الزعامة تلح عليه. وعلم من صديق له أن جماعة الشيوعيين مناصرون للثورة وسيأخذون مكانتهم وزعامتهم فذهب يتحسس الجو وسطهم. لم يقرأ تعاليم "ماركس" و"انجلز". وإن كان قد اشترى بعض روايات الكتاب الروس. ليقول إنه قرأ شيئا لهؤلاء الناس. أو على الأقل يعرفهم. وعندما قدمه صديقه لهم. رحبوا به لأنه من أصحاب الأراضى ويمكن أن يمولهم ببعض المال ولم يعجبه هذا.

ورأى فتيات لأول مرة يشتركن فى مثل هذه الأحزاب السياسية. وعندما وجد بعضهن قد دخلن الجماعة ليتصيدن ازواجا. لم يعجبه هذا أيضا. خصوصا عندما وجد الاقبال عليه منهن ليس لأنه فاهم للتعاليم الماركسية ومؤمن بها. ولكن لأنه صاحب سيارة وأرض. وشعر بحاسة المحبة للزعامة أنه لن يكون شيئا وسط هؤلاء الناس. فبدأ يبتعد عنهم خصوصا أنه كان زائرا فقط. لم يرد الاشتراك مباشرة معهم. وعندما تهامس

البعض بالشك فيه ونواياه. وربما يكون على صلة بالمباحث خصوصا أن والده كان ضابط شرطة طاغية. ابتعد عنهم تماما.

ولما اعتقلوا الشيوعيين. هنأ نفسه مرة أخرى لنجاته من الاعتقال. وذهبت عن رأسه فكرة الزعامة السياسية تماما. ليكن رئيسا على أرضهم والعاملين فيها. وليكن زعيما فى سوق المال. وبدأ يدخل فى المشاريع التجارية.

عندما بدأ يكسب من الأرض والمشاريع التجارية نصحه أبوه بالزواج ورشح له فتيات من عائلات غنية، لكنه رفض بشدة. ومن الأسباب التى جعلته يحجم عن الزواج. مأساة طفلى أخيه القتيل اللذين تركتهما أمهما وهما فى أشد الحاجة لرعايتها وتزوجت. ومن ناحية أخرى فهو يختنق من أى استقرار داخل جدران. وهناك أسباب أخرى فى نفسه. وقد نصحه أبوه أن يبتعد عن النساء السيئات السمعة حفاظا على صحته.

فقال أنه لم ولن يلتقط امرأة من الطريق العام. وتعرف على امرأة حسبها فى أول الأمر سيدة مجتمع

ثرية. فلها بيت فخم تستقبله فيه، كما تقيم بعض الحفلات. ثم اكتشف فيما بعد أنها مومس من الدرجة الأولى. واكتشف أيضاً أنه قد أصيب بمرض منها. عولج منه علاجا صارما. وبعد أن شفى قرر ألا يضاجع أية امرأة بالرغم من المتاعب التى كان يشعر بها ويهملها.

وكان يكتفى بصداقات النساء. يعاملهن مثل الأصدقاء الرجال إلى ان تأكد من إحداهن وأصبحت عشيقته الدائمة. امرأة فى مثل عمره. بيتها مفتوح له فى أى وقت يشاء للراحة. للجنس .. للأكل .. وأحيانا للمبيت.

امرأة مجربة تعرف قيمة الرجال. أرملة تفهم معنى أن يكون فى حياتها رجل. لها ابن واحد مهاجر فى أمريكا ومتزوج هناك. يزورها كل سنتين أو ثلاث. وأحيانا تذهب هى لزيارته. لم يكن هناك ما يضايقه. امرأة طويلة القامة. ممتلئة الجسم. تحتوى جسده الذى يشابه جسدها. وتحتوى حياته غير المستقرة. وتقرضه من مالها إذا احتاج. وكثيرا ما تعطيه من مالها ليستثمره فى السوق وتكسب ويكسب.

وكان مرتاحا فى حياته هذه. ولم يعد أحد يسأله لماذا لا يتزوج. بل كان الأزواج من أصدقائه يحسدونه على حريته. فما الذى دفعه إلى الزواج وهو على مشارف الخمسين من فتاة تصغره بستة عشر عاما. ليس لها خبرة بالحياة ولا تعرف قيمة أن يكون فىحياتها رجل مثله؟! وتحدثه بهذا الغموض السخيف الذى تتصنعه المرأة عندما تريد أن تقول لزوجها شيئا يضايقه.. ما هذا الذى تريد أن تقوله فى المساء؟!

❀ ❀ ❀

كان فى زيارة عمل لصديق جديد من أصدقائه فى العمارة التى تسكنها مع أهلها، عندما سمعا طرقات متواصلة على الباب فى المساء.. ورأى هناء أول مرة وجهها الأبيض قد اشتد بياضه من الفزع الذى كانت تعانيه. وهى تقول لصديقة جارها كلمة واحدة. لا تدرى ماذا تقول قبلها أو بعدها .. "بابا .. بابا" جرى الرجلان إلى الشقة المجاورة. وجدا أباها راقدا فى شبه غيبوبة. لا يبدو لون وجهه الطبيعى من الزرقة التى غطته. وسيدة كبيرة تجلس بجانبه تدلك يديه وجبهته بماء الكولونيا. تخفى خوفها بهدوئها..

سأل عن التليفون .. قادته ذات الوجه الأبيض الشديد البياض إلى مكان الآلة .. حدث صديقا له طبيبا وشرح له حالة المريض. فنصحه أن ينقله مباشرة إلى المستشفى التى يعمل بها.. أثناء حديثه مع الطبيب. كان ينظر إلى هناء. ولفت نظره شدة بياض وجهها، وعيناها السوداوان الواسعتان، لامعتان، ملتاعتان. سألها إذا كان يوجد أحد معهم فى البيت. هزت رأسها بالنفى. وقالت إنها وحدها مع والديها هذه الأيام ... لم ينتظر الرجل سؤال أحد واتصل مباشرة بالاسعاف ليرسلوا سيارة..

صعدت هناء وجارها مع الرجل الكبير إلى سيارة الإسعاف. ولحق بهم بسيارته .. ودفع أجرة سيارة الإسعاف .. على باب المستشفى لم يسمحوا بدخول المريض إلا إذا دفعوا .. لاحظ ازدياد الذعر على ملامح ذات الوجه الأبيض. فتقدم ودفع ما طلبوه.

وكان الطبيب الذى حدثه فى انتظارهم .. نقلوا المريض إلى حجرة خاصة لعمل الاسعافات اللازمة، وقرر الطبيب اجراء عملية جراحية له فى اليوم التالى، تبرع الجار بالمبيت مع المريض. وسأل صديقه أن

يوصل جارته إلى بيتها، حتى تخبر زوجته وتتصل بأخويها فى بيتهما لتخبرهما وتكون بجوار أمها..

سارت هناء صامتة إلى سيارته .. جلست بجواره، وأجهشت بالبكاء .. تركها تبكى .. مسحت دموعها .. ونظرت إليه. شكرته على ما قام به، وأنها لن تنسى له هذا الجميل طول حياتها .. وقالت إنهم سيردون له المبلغ فى اليوم التالى.. ربت على يدها، وقال إنه لم يفعل سوى الواجب الانسانى. ثم سألها عن اسمها .. قالت : "هناء" .. لم تسأله عن اسمه .. فقال لها .. "وأنا حسين".. "حسين عبد العال".

ولكنها فى حالة اضطرابها وخوفها لم تسمعه .. فعندما صعد الرجل معها ليطمئن أمها .. تلعثمت وهى تقدمه لها .. فقال اسمه مرة أخرى.

أصرت الأم على أن تقدم له كوبا من الشاى حتى يدفئه من جو ذلك المساء البارد.. وقالت لابنتها أن تجلسه فى الصالون .. قادته هناء إلى الحجرة .. اضاءت نجفة من الطراز التركى القديم. أوضحت أضواؤها غير الساطعة مقاعد وكنبة مذهبة .. مغطاة بقماش مطرز لصور كلاسيكية، وإن بدا

القماش قديما إلا أنه يحتفظ بقيمته .. ومنضدة رخامية كبيرة فى الوسط .. فوقها "فازة" للزهور خالية .. عليها رسومات .. فازة قيمة .. غالية .. ومنفضتان للسجائر من الكريستال الحقيقى. فوق الجدران لوحات فنية كلاسيكية بعضها لفنانين عالميين. صور أصلية. وفى جهة أخرى من الجدران صور لرجال يبدو عليهم الفخامة بملابس عسكرية ومدنية. من هذه الصور القديمة للعائلات التى تنتمى إلى أصول تركية وأرض الحجرة مغطاة بسجادة كبيرة فاخرة .. بالرغم من قدمها إلا أنها مازالت تحمل قيمتها الفارسية الأصيلة..

تأمل حسين محتويات الحجرة وقال لنفسه هذه عائلة عريقة من العائلات التركية الثرية .. وربما أخذت منهم الثورة أملاكا وأموالا. وإلا فلماذا لا يجددون هذه الأشياء القديمة القيمة. ولماذا قالت له ذات الوجه الأبيض أنهم سيردون له نقوده فى اليوم التالى ؟!

كان منشغلا بتأملاته هذه بينما هناء تتحدث فى التليفون فى الصالة. ويصله صوتها خلال الباب المفتوح. وفهم أن أحد الذي ن تحدثت معهم سيذهب إلى المستشفى

فـى الحـال .. وأخـيرا ظهـرت وهـى تحمـل ثـلاث أكـواب زجاجيـة بهـا شـاى فـوق صينيـة فضيـة والسـكرية والملاعـق أيضـا مـن الفضـة.. وأيقن الرجل بفراسـته أنهـم فعـلا عائلـة عريقـة .. ظهـرت الأم. شـعرها فضـى تصففـه خلـف رأسـها.. ممتلئـة قليـلا وجهها أبيـض لكـن ليـس فـى شـفافية بيـاض وجـه ابنتهـا .. وجلسـت تحـدث حسـين عـن مـرض زوجهـا المفـاجئ، وكأنـه خـرج إلـى نزهـة وليـس إلـى مستشـفى لإجـراء عمليـة جراحيـة عاجلـة .. وأيقـن الرجـل مـرة أخـرى أنهـا عائلـة عريقـة فمثـل هـذه العـائلات لا تظهـر انفعالاتهـا أمـام الغربـاء ببسـاطة..

وعندما استأذن فى الانصراف. كانت الساعة بعد منتصف الليل، قالت له الأم نفس كلمات ابنتها. أنها لن تنسى هذا الجميـل الذى صنعه لهم. وأضافت أن العناية الإلهيـة قد أرسلته لهم .. واعتذرت عن تعطيله. ولابد أن زوجته فى البيت قلقة .. قـال لها مبتسما إنه ليس له من يقلق عليه، وليس متزوجـا، وكـررت هناء أنهم سيردون له نقوده فى اليوم التالى.. وسألته أين سيكون لتذهب إليه بالنقود.. قال أنه سـيذهب إلـى المستشفى للاطمئنـان

على والدها فى مساء اليوم التالى. بدا التعجب فى نظرتها وقالت إنها ستكون هناك..

فى مساء اليوم التالى ذهب حسين إلى المستشفى. وجد الرجل الكبير قد صفا لون وجهه بعد أن خلصوا جسمه تقريبا من السموم.. لون وجهه قمحى .. وكان حوله ثلاثة رجال وجوههم بيضاء، لكن ليس مثل بياض وجه هناء التى انتفضت من بينهم لتستقبله .. كانت ترتدى حذاء بدون كعب مرتفع فبدت قامتها أقصر بشكل ملحوظ عن قامته .. قدمته لاخوتها الثلاثة.. وتقدمت من الفراش، انحنت على أبيها الذى كان مغمضا عينيه وقالت له مشيرة إلى حسين إنه الذى انقذ حياته.. هز رأسه مبتسما وقال بصوت واهن : "ماما قالت لى"..

جلس حسين وسطهم يتحدث معهم، يحاول أن يعرف شيئا منهم، وقد عرف أن الكبيرين متزوجان. أحدهما يعمل مديرا فى شركة كبرى، والثانى يعمل فى الحكومة. والثالث معيدا فى كلية الهندسة .. وفى مرحلة خطبة .. وكان فى الاسكندرية واستدعوه فى الصباح. وفهم أن ذات الوجه الأبيض ليست مرتبطة بأحد.. وعلم أن كل واحد منهم سيبيت ليلة مع الأب

لأن الأم لن تتحمل هذا المجهود عندما أستاذن فى الانصراف شكره أكبرهم وهو يعطيه ظرفا به نقود .. أخذ ما دفعه للمستشفى ورفض اجرة سيارة الاسعاف.

شعر حسين بميل نحو هذه العائلة العريقة. ووقف بجانب هناء فى تلك الأيام .. كان يذهب إليها فى الليلة التى تبيت فيها مع أبيها، ويسهر معها إلى ساعة متأخرة من الليل بدافع انسانى... فلم يعجبه قرار اخوتها بتركها تبيت وحدها فى المستشفى. وبدافع آخر فى نفسه ربما لم يدر ما هو إلاّ عندما أفصحت به هى ذات يوم.. أو كان يخفيه إلى أن يتأكد من شعورها نحوه.

لم يعرف حسين فى حياته فتاة بمثل هذا الوجه الأبيض والعينين السوداوين وبهذه الدقة فى تكوين جسدها .. كانت هناء تستقبله بفرحة كبيرة.. وتودعه بامتنان عظيم وكان يرى هذا الامتنان ايضا فى نظرات أبيها إليه.. كان هذا مصدرا لسروره فهو يحب أن يشعر بالامتنان فى نظير ما يقدمه لهم من خدمات...

تقدمت صحة الأب .. وصمم حسين أن يعيده بسيارته إلى بيته. ولانه يحب أن يوسع دائرة معارفه وأصدقائه. قرر أن يقيم صداقة مع هذه العائلة العريقة التركية، ولأسباب كثيرة فى نفسه .. أهمها ذات الوجه الأبيض التى شعر بحبها له أثناء زياراته لأبيها فى المستشفى وسهره معها .. وبدأت هناء تفصح له عن هذا الحب الذى تملكها، وهى لا تدرى أنه يقودها إلى الشقاء.. وينتهى بها إلى هذا القرار الذى ستعلنه فى المساء...



أيام الحب والشقاء، المفروض أن تكون أيام الحب أياما للهناء، فما هذه الغشاوة من الغباء التى نزلت فوق عينى هناء فلم تدرك هذه الحقيقة؟! . هل مثلا لأنه كما يقال الحب أعمى ؟! بالعكس الحب مبصر تماما : فالذى يحب يرى مميزات وسيئات حبيبه : يقبله كما هو. أو يجد السيئات أكثر من المميزات فيبتعد عنه، وهذا ما حدث لهناء فى قصة حب سابقة، لقد وجدت استحالة الاستمرار فيها فابتعدت عن حبيبها.

هل مثلا لأنه كما يقال عقدة "أوديب" أو "اليكترا"، أو أي شئ من هذه العقد النفسية التى تجعل الابن يحب أمه فيختار شبيهتها، أو الابنة تحب أباها فتختار شبيهه؟!

لكن "حسين" لم يكن الرجل الشبيه بأبيها فى أى شئ فتحبه هذا الحب الذى يبعث على الشقاء وليس الهناء، لابد أن هناك شيئا فى نفس هناء جعلها تتعلق بهذا الرجل، هل هى الظروف التى أحاطت بأيام الحب، وكان الخوف سيدها ؟!. لقد حط الخوف فجأة على حياة هناء، ولابد أنه هو الذى صنع هذه الغشاوة فوق عينيها، الخوف هو الأعمي وليس الحب.

لم ينشأ الخوف فى طفولة هناء، مثلا من قسوة الأم أو الأب أو تفضيلهما الأولاد الصبية عنها، لقد تكونت نفسيتها سوية، فكانت عناية الأم بالطفلة بدون تقصير أو قلق أو خوف عليها. فلم ترضع الخوف، أو تتأثر بالقلق، ثم أصبح الأب المثل الأعلى وهذا أيضا يشكل نفسية سوية، ولم تكن متعلقة به تعلقا مرضيا، وهو أيضا بالرغم من حبه لها لم يكن متعلقا بها تعلق مريض، كان بالنسبة

لها يشكل صورة عظيمة للفن والأمان والاستقرار والحب الأسرى، وكانت بالنسبة له النغمة الحلوة فى الأسرة.

كان الأب محبا للفن، تعلم العزف على العود وكان صوته رخيما جميلا، لكن فى ذلك الزمن البعيد لم يكن أبوه يرضى له أن يصبح مغنيا أو عازفا، واستطاع بالسطوة المعروفة لدى الأتراك أن يجعل ابنه يدرس اللغة العربية ثم يصبح مدرسا، ومات أبوه بعد أن حقق رغبته فى ابعاد ابنه عن العمل بالفن، وترك ابنا ثانيا فى المرحلة الثانوية رعاه الابن الأكبر، ولم يحرمه من شهوة الفن فتركه يتعلم ويمارس الفن الذى أحبه فى الرسم ثم فى التصوير الفوتوغرافى.

كان الأب بالرغم من عمله مدرسا فى اللغة العربية الا أنه لم يترك هواية العزف على العود والغناء، وكان يمارس هوايته هذه فى حفلات وجلسات الباشوات والبهوات من اصدقاء أبيه، حيث كان يسمح له فى ذلك النطاق، ولما مات الأب استمرت صلة ابنه قوية بهؤلاء الناس، لم يترك الأب لابنيه ارثا من عقار أو أرض، بل بعضا من المال، قسماه بالتساوى بينهما، الابن الأصغر أنفقه على هوايته الفنية، أما الأكبر فقد تزوج ابنة

أحد هؤلاء البهوات وأثث شقة فاخرة من تلك الموبيليا التى كان الباشوات والبهوات يؤثثون بها بيوتهم.

ليس عيبا العزف على العود والغناء كهواية تجلب بعض المال، لكن العيب هو أن يكون هذا العمل هو العمل الأساسى للأستاذ "مصطفى" ابن "أحمد بك الانصاري"، وهكذا وجد الأب طريقا لاشباع هوايته الفنية والكسب منها لزيادة دخله، فكان الشخصية المميزة المدعوة فى حفلات وجلسات الباشوات والبهوات، يطلبون منه بالحاح الغناء. وهم فى حقيقة الأمر يدفعون له أجرا، كانوا يفعلون هذا اكراما لذكرى أبيه ولمساعدته خصوصا أنه قد تزوج واحدة منهم. فلا بد أن تعيش فى المستوى اللائق.

ولم يستمر الأستاذ "مصطفى الانصاري" فى سلك التدريس فى المدارس الحكومية، لقد كان يعمل هذا العمل مضطرا لذلك تقدم لوزير "المعارف" بطلب نقله إلى عمل إدارى فى الوزارة وقد أجيب طلبه بواسطة من أحد أصدقاء أبيه، ولم تكن هناك اهتزازات عنيفة فى حياته، حتى الفن لم يكن له هذه الاهتزازات العنيفة التى تصيب الفنان عندما ينهمك فى الخلق أو الانتاج، فهو لم يؤلف

موسيقى أو يلحن كلمات، بل كان يعزف ويغنى فقط الأغانى القديمة، وكانت هواياته الفنية كثيرة كان يحب أن يقتنى اللوحات الفنية واسطوانات الموسيقى العالمية والمحلية، والأشياء القيمة من المزادات، وكان ينفق بسخاء على بيته.

وعندما قامت الثورة، وانزوى عالم الباشوات والبهوات، بدأت تقل حفلاتهم إلى أن امتنعت، وأصبحت جلساتهم للحديث عن الغم الذى أصابهم وليس للغناء والفرفشة، ولهذا انقطع دخل كبير عن الأستاذ مصطفى، وقد عوضه فيما بعد باعطاء دروس خصوصية فى اللغة العربية لأولاد المدارس فى بيوتهم، لكنه لم يقطع صلته بهؤلاء العظماء.

فكان يذهب اليهم، زائرا، محدثا مواسيا، واصبح بعضهم يزوره فى بيته وكانوا لا يسعون إليه فيما سبق، أى قبل الثورة.

كان أحيانا يجد الفرد منهم أنه حزين، أو لا يجد ما يشغله فيذهب لزيارة الأستاذ مصطفى حيث يجد بعض البهجة فى أحاديثه الشيقة، أو يعرف أخبار رجال الثورة من ابنائه

المتحمسين لها. أصبحوا لا يجدون حرجا في زيارة واحد من الشعب ينتسب لهم حقيقة لكنه ليس منهم، خصوصا أنه قد انتقل بأسرته قبل الثورة مباشرة إلى السكن في حي الزمالك، في عمارة جيدة كبيرة بايجار اثنى عشر جنيهاً، وكان هذا يعد مبلغا كبيرا في ذلك الوقت.

كان الأب يحافظ على مظهر الأسرة العام، الابناء يتعلمون تعليما جيدا، يرتدون ثيابا جيدة ويأكلون الطعام الجيد، فالحياة في نظر الأستاذ مصطفى الانصاري، سكن جيد. تعليم جيد، طعام جيد، تربية جيدة، فهذه رسالته في الحياة، أن يؤدى لأبنائه الأشياء الجيدة، وهم بعد ذلك يؤدون الأشياء الجيدة لحياتهم.

وهكذا نشأت "هناء" وسط هذه الاشياء الجيدة التى كان يكفلها لهم أبوها، لم تشعر فى طفولتها وشبابها بتهديد من أشباح الخوف، وكان أبوها يصحبها أحيانا إلى حفلات أو جلسات الباشوات والبهوات، وكانت تحب الذهاب إلى الباشا الكبير صاحب القصر، الذى كان فى سلطة الحكم، وكان يحبها الباشا

ويتفاعل بوجهها الأبيض الناصع البياض، فقد كان يحملها يوما ويلاعبها عندما رد على مكالمة تليفونية هامة من السراي ليكون ضمن الوزارة الجديدة.

يومها أجلسها فوق مقعد ضخم بجانبه، ذلك المقعد الذى كان يجلس فوقه يعتبر مفضلا لدى صاحب القصر، وكلما ذهبت مع أبيها بعد ذلك يبتعد الرجال الكبار عن ذلك المقعد وينحنون لها مداعبين، ويحملها الباشا لتجلس بجواره، وقد استمعت يوما إلى مكالمة تليفونية من طرف واحد، من الباشا، ولاحظت الصمت على الجميع، فقد كان يتحدث مع الملك فاروق شخصياً، وهو واضع ساقا فوق ساق ويتحدث إلى جلالته بهدوء ومرح .. بشعور الطفلة لم تكن تتخيل أن الملك يمكن أن يتحدث مع أحد فى التليفون هكذا، فالملك فى نظر الصغار كان انسانا فوق الناس حتى أنهم لم يتصوروا أنه يمكن أن يقوم بالأعمال الدنيوية التى يقوم بها البشر، وبعد أن وضع الباشا سماعة التليفون وسأله الآخرون عن الأخبار، سألته هناء إذا ما كان الملك سيحضر إلى الحفلة، فضحك الباشا وكل البشوات وأبوها،

وربت الباشا على شعرها الفاحم وقال : "يا طالع السعد نحن الذين نذهب إلى الملك، وأنا الآن سأذهب اليه".

سألته أن يأخذها معه، ووعدها الباشا أنه سيفعل هذا يوما، وكانت تحلم بذلك اليوم الذى لم يأت أبدا.

كان هذا العالم الذى يذهب اليه أبوها، والذى شاهدته عن قرب يزيد من اطمئنان طفولتها، بل أثر فى حياتها عموما، فقد أكسبها شعورا بالثقة فى نفسها، وأن الحياة تستقبلها ببشاشة وانها طالع السعد لمن يستقبلونها، لم تشعر بخوف من الحياة.

لم تشعر هناء بالخوف عندما نقص عدد أفراد البيت بزواج أخويها الكبيرين، بل كانت سعيدة لأنه بخروجهما أصبحت لها حجرة منفردة من الحجرات الأربع التى تتكون منها الشقة، لقد كانت فى حجرة مع أخيها الذى يصغرها بأربع سنوات، وانتقل إلى الحجرة الخالية وأصبحت لها مملكتها الخاصة، منذ كانت فى المدرسة الثانوية، ولم تشعر بالخوف عندما خرج أبوها إلى المعاش ونقص دخله، فأخواها الكبيران يساعدان بالمال حتى تكمل وأخاها تعليمهما، وعندما عملت هى

ثم عمل أخوها الأصغر، كان دخلهما مع معاش الأب مع دخل بسيط من ارث الأم، يهئ لهم الحياة الجيدة التى تعودوا عليها.

كانت هناء تشعر بالأمان والاستقرار. فلم تتعجل الزواج وإن كانت تحلم ببيت خاص بها، تؤثثه بأثاث حديث وألوان زاهية، فالألوان الداكنة لأثاث بيت والديها الكلاسيكى كثيرا ما تشعرها بالانقباض، وإن كان جو البيت لا يوحى بذلك، وتحلم بزوج تحبه ويحبها كما ترى حب والديها لبعضهما، ومن ناحية أخرى كان أخواها الكبيران مرتاحين لعدم تسرعها فى الزواج لتبقى بجوار الوالدين وترعاهما إذا مرض أحدهما، هى وأخوها الأصغر. وكانت أمراضهما غير معقدة.

وقد اعتقدت هناء أن صمت أبيها وتعبه الجسمانى من هذه الأمراض البسيطة التى تذهب بعد عدة أيام، فلما سقط فاقدا الوعى، اهتز شعورها بالأمان وتولد الخوف مباشرة، شعرت أن جدران البيت تتصدع، والسقف سيقع فوق رأسها، وفى لحظة تولد الخوف ظهر هذا الرجل الذى كان فى زيارة جارهم وذهبت إليه تستنجد به.

شعرت ببعض الأمان يعود إليها وهذا الرجل يتصرف بسرعة لانقاذ أبيها، ويدفع هذا المبلغ الكبير ببساطة ليدخل المريض إلى المستشفى، ربما ليلتها فقط شعرت بأهمية أن يكون لديهم فائض من المال للطوارئ، هذا الفائض الذى لم يكن فى حساب والديها ولا أخاها الأصغر ولا فى حسابها، لقد تعودوا على الحياة الجيدة، وهذه الحياة أصبحت تتطلب معظم دخلهم، وربما ليلتها فقط شعرت أنها وحيدة فى هذا العالم ولابد أن تنظر بجدية إلى المستقبل، ولابد أن تتزوج، ربما فكرت فى الزواج عندما بلغت الثلاثين منذ عام، لكن لم تكن الفكرة ملحة.

كانت لا تهتم كثيرا بالشبان الذين فى مثل عمرها، تنظر اليهم كاخوة أو مجرد أصدقاء للنزهات والسينما والرقص، وكان عندما يسألها أحدهم الزواج يزداد شعورها بالثقة فى نفسها، لكنها لم تشعر أن أحدهم يمكن أن يعطيها الأمان واستقرار البيت والحب الحقيقى، وربما لم يعطها أحدهم هذا الشعور، وربما لم تعط هى الفرصة لأحدهم، فقد كانت تعتقد اعتقادا خاطئا، أن هذه الأشياء التى ترغبها فى الحياة لا تكون إلا مع رجل يكبرها فى العمر على الأقل بعشرة سنوات!

ولما قال هذا الرجل الذى أرسلته العناية الالهية لانقاذ أبيها، وشعورها ببعض الأمان فى وجوده أنه ليس متزوجا، شغلتها جملته وأعجبتها ابتسامته، وبشعور غامض من توتر تلك الليلة، شعرت أن مستقبلها مرتبط به، ولما بدأ يذهب إليها فى المستشفى فى الأيام التى تبيت فيها مع أبيها، وتبادلا أحاديث كثيرة، وعلمت أنه سيد لنفسه، ويعمل أعمالا حرة فى الزراعة والتجارة وشجعها على تحقيق أمنيتها فى التفرغ للرسم، تخيلت الأمان والحب بل والاستقرار مع هذا الرجل الذى يبدو مستقرا نفسيا وماديا وقالت لماذا لا يرتبط مستقبلها به ؟!



فى إحدى الليالى الباردة، كانت هناء جالسة مع حسين فى بهو صغير أمام حجرة أبيها المريض فى المستشفى، وكانت تنفخ فى يديها حتى تدفئهما، أمسك حسين بيديها دلكهما وهو يتعجب من برودتهما، كانت يداه دافئتين وتعجبت هناء من الدفء الذى سرى فى جسدها من دفء يديه، نظر إلى يديها وقال متأملا فى أصابعها

"أصابع فنانة" .. وسألها إذا كانت ترسم لوحات فنية بجانب رسومات أغلفة الكتب التى حدثته عنها.

ابتسمت هناء وهى تقول إنها لا تجد الوقت. "لابد أن تجدى الوقت ما دامت عندك الموهبة، لا يصح أن تحرمى هذه الأصابع الجميلة من مزاولة مهنتها".

لمعت عيناها بشعور من حنانه واهتمامه وقالت كأنها تحدث نفسها. "لا أدرى ماذا كنت أفعل فى هذه الليالى الباردة بدونك".

قال : "المفروض أن يتناوب أخوتك المبيت، أنت لا تتحملين السهر فى البرد".

قالت : "طلبت منهم أن أتحمل جزءا من هذا الواجب، أنت لا تعرف كيف أحبه".

وكانت تريد أن تقول، وكيف أحبك .. ولمعت عيناها بشعور المحب الذى لم يجد الفرصة ليفصح لحبيبه عن حبه

المكنون فى قلبه، وربما تلقى حسين هذه الرسالة من عينيها فضغط على يديها ورفعهما إلى شفتيه، طبع عليهما قبلتين صغيرتين ارتجف لهما قلب هناء وزادت لمعة عينيها، وتمنت أن تبقى يديها بين يديه حتى الصباح، بل وكل يوم، نظر حسين إلى ساعته وكانت تقترب من الواحدة صباحاً وسألها أن تقوم لتنام قليلاً، ارتدى معطفه وضع يده فى جيبه وأخرج كوفية صوفية وضعها حول عنقها، قال مبتسما "لتدفئك فى غيابى".

شعرت هناء أنه يبادلها الحب واحتضنت الكوفية، قبلتها، ورقدت مستيقظة تحلم به.



وهكذا بدأت هناء تحب حسين، بل تعلقت به تعلق اليائس الذى لم يبق له فى الدنيا سوى أمل واحد. لم يختف حسين من حياتها بعد أن عاد أبوها إلى البيت. كان يزورهم من وقت لآخر عندما يذهب لصديقه جارهم، ويرحبون به، وكانت فرحتها عظيمة لوجوده معهم فى البيت وقبوله دعوتهم لتناول العشاء بدون تكلف. الشئ الذى جعل شعورها يقوى لارتباطها به.

ثــم بــدأ يحدثهـــا فـــى التليفـــون، وأحيانـــا تســـتمر محادثاتهمـا التليفونيـة إلـى سـاعات متـأخرة مـن الليـل. ثـم بـدأت مقابلاتهمـا بعيـدا عـن البيـت، يذهبـان إلـى مسـرح أو سينما، أو يجلسان فـى مكـان عـام.

وعلى الرغم من ظهور اختلاف وجهات النظر بينهما فى أشياء كثيرة تصل أحيانا إلـى حافة الشجار والغضب إلا أنها بدأت تشعر أنها لم تعد جزءا من هذا المنزل الذى يضمها مع والديها وأخيها والمفتوح ليل، نهار للأقارب ولأبناء وبنات أخويها أو أصدقاء الأب. لقد بدأت تشعر بالضجر، والتعب من حياتهم بل والخوف ايضا، وبدأت تشعر أنها أصبحت جزءا من حياة هذا الرجل وأن حياتها ارتبطت به ولا ترغب فى غيره من البشر.

وكانت تتخيل أنه يمكنه أن يؤثث لها شقة جميلة يعيشان فيها معا وتواصل الحياة الجيدة التى تربت فيها وتعودت عليها، فهى لن تستطيع الاستمرار فى حياة الأسرة، هى تريد حياة خاصة بها. ومن ناحية أخرى فأخوها الأصغر قد لمح فى أحاديث كثيرة أنه لن يستطيع أن يؤثث شقة جديدة ليتزوج فيها.

وقد اتفق مع خطيبته أن يعيشا مع اسرته فـى هـذا البيـت، ومن ناحية أخرى تعرفهـا هنـاء أنـه يحـب الأم ويعطـف عليهـا، والأم لا تجد الراحة والتفاهم إلا معه. فالكل يعـرف ارتبـاط الأم العاطفى بابنها الأصغر، الذى حملت به فى سهوة من الزمن.

لقد كان الأب يعتبر أن أسرته قد اكتملت بوصـول البنـت. ولدان. وبنت هذا يكفى، خصوصا أن هناء جاءت إلى الدنيا بعد سنوات من مولد أخويها الكبيرين.

ولمـا حملـت الأم للمـرة الرابعـة أرادت أن تجهـض نفسـها، رفـض الأب كمـا رفـض الطبيـب لمـرض الأم أثنـاء ذلـك الحمـل. وجـاء الأخ الثـالث لهنـاء ضعيفـا، اسـتحوذ علـى عنايـة الأم، وأصبـح ملازمـا لهـا. ملتصقـا بهـا، كأنـه مـازال ملتصقـا برحمهـا. مـن ناحيـة فـأخواه يكبرانـه بعشـر سـنوات وتسـع سـنوات. وهنـاء بـاربع سـنوات، ومـن ناحيـة ضعـف بنيتـه كـان يجـد الأمـان بجـانب الأم. كـان يسـتحوذ علـى اهتمامهـا ثـم تفاهمهـا معـه. ولمـا خطـب أعربـت الأم عـن ترحابهـا وفرحتهـا لأن يعيش ابنهـا وزوجتـه معهـا.

وكانت تقول لهناء إنها تريد أن تفرح بها فى بيتها. أو انها تنتظر اليوم الذى تزور ابنتها الوحيدة فى بيتها. وبالرغم من فشل خطوبة الأخ أثناء مرض الأب، فقد أصبحت مسألة بيت الاسرة بالنسبة لهناء منتهية ومقررة، فأخوها المدرس فى الجامعة عندما سيتزوج سيعيش فى هذا البيت، وعليها أن تبحث عن بيت آخر. وهذا لم يسبب لها ألما أو حقدا. وقد أعربت لأخيها فى مناسبات كثيرة أنها ليست طامعة فى بيت الأسرة وتتمنى بيتا جديدا، وكانت متأكدة أن عشقها لهذا الرجل المقتدر سيحقق لها أحلامها.

لكن. بالرغم من تواصل علاقتها به، وخروجهما وتلامسهما. وسؤاله عنها كل يوم. إلا أنه لم يحدثها فى الزواج. وهذا ما سبب قلقا لها. وقررت أن تفاتحه هى فى هذا الموضوع. وهذا ما كان يريده حسين. أن يجعل هناء تحبه وتتعلق به وتطلب هى الارتباط به. معنى هذا أن تقبله كما هو. وتعيش معه الحياة التى يرغبها هو، وبالرغم من أنه ليس مقتنعا بفكرة الزواج. فالزواج فى نظره، حاجة الفرد إلى البيت والجنس. وهو ليس فى حاجة إلى البيت الخاص فهو له مع

والده وابنا أخيه بيتا في الأرض الزراعية التي لا تبعد كثيرا عن القاهرة، وله معهم أيضا شقة في العاصمة. وهو ليس في حاجة إلى الجنس. فعشيقته التي في مثل عمره تستقبله في أي وقت يريدها، وايضا يعتبر بيتها بيته. ومع ذلك مهد الطريق لهناء. لتحبه. لتتعلق به. لتفاتحه هي في الزواج.

لقد شعر بصدق حبها وتعلقها به. واعتقد أن الزواج منها سيفتح له آفاقا جديدة في عمله. لقد رأى باشوات وبهوات سابقين يزورون الأب في مرضه. ويرسلون الزهور والحلوى وفكر أن هؤلاء العاطلين لابد أن يكونوا قد أخفوا بعض ثرواتهم عن الثورة، ولابد أنه يوجد بينهم من يبحث عن طريق لاستثمار ماله. ولأنهم أصبحوا يشكون في الخلق فيمكنهم الوثوق به لأنه زوج ابنة صديق لهم، ولا يمكن أن يخدعهم أو يفشي سرهم. ولابد أيضا أن هناء سترث شيئا من أبيها أو أمها، من هذه الأشياء الذى اعتقد أنها تحت الحراسة، وإن كان لم يسمع من أحد أي شكوى من أشيائهم التي حرموا منها.

ومن ناحية أخرى، فهو بعد هذه السنين الطويلة من العزوبية يحب أن يظهر لأقاربه وأصدقائه بزوجة صغيرة

جميلة ومن عائلة عريقة ولم يسبق لها الزواج، حتـى لا يقولـون إنه لم يعد يصلح إلا لامرأة كبيرة أرملة أو مطلقة. فزواجه منها سيثير حسدهم، ويجعلـه محـور أحـاديثهم لشـهور طويلـة. وهـى ايضـا فنانـة، ويمكنهـا باصرارهـا أن ترسم لوحـات فنيـة وتقيـم معارض، وتكتب عنها الصحف. ويقولون زوجة فلان. ويظهـر فى الصورة الاجتماعية. فأى مجال اجتماعى يفيده فى عمله.

ومع ذلك لم يوافـق مباشـرة علـى فكـرة الـزواج، ووضـع العراقيل أمام هناء. ربما ليجعلها تتعب للحصـول عليـه زوجـا. فتخضع له تماما بعد ذلك. ومنذ فاتحته فى أمر الـزواج. أصبـح هذا الموضوع المجال الوحيد للمناقشة بل المجادلة بينهما.

❀ ❀ ❀

"- لا أستطيع أن أترك والدى وابنى أخى بدون رعاية!

- ومن قال إنك بالزواج لن ترعاهم ؟

- نعيش معهم.

- أفضل أن نبدأ حياتنا وحدنا ...

- وماذا عن أبيك المريض !

ـ أمى واخوتى يرعونه.

ـ نسكن فى شقتك حتى ترعين أباك.

ـ أفضل أن نبدأ حياتنا وحدنا. وشقتنا لا تصلح.

ـ لا تتحملين مسئولية بيت وحدك.

ـ المسئولية تدريب وحب.

ـ شاطرة فى الكلام.

ـ جربنى.

ـ وإذا فشلت التجربة؟

ـ بنا تفشل وبنا تنجح!"..

❀ ❀ ❀

كانت هناء تحاول دائما أن تقنعه بنفسها. وبأهمية أن يبدأ حياتهما وحدهما فى بيت خاص بهما. مادام هو قادر على ذلك. ومادامت هى ستساعده فيما بعد. وقال لها يوما إن الرجل يتزوج من التى تكفل له الراحة وليس من التى يحبها.

ولم تكن تفهم فى ذلك الوقت ماذا تعنى كلمة الراحة فى نظره. أو ربما شعرت أن الراحة بالنسبة لـه، هـى عدم الراحة بالنسبة لها. وفكرت فى الحال الوسط. أن يكون لهما بيتا وحدهما. وأن يذهب لوالده وابنى أخيه يومين أو ثلاثة فى الأسبوع. وثار لهذا الحال الوسط. معنى ذلك أنها لا تريده لشخصه ولأنها تحبه. بل تريد بيتا لا أكثر.

خافت هناء من ثورته وغضبه. وقررت ألا تفتح الحديث فى موضوع البيت. المهم أن يقتنع بها أولاً. وبالزواج منها. ثم يأتى موضوع السكن بعد ذلك. عندما يكون أمام الأمر الواقع.

لكن هل هو هذا الرجل الذى يترك للأمر الواقع أن يسوق حياته على غير رغبته؟!

وعندما كانت هناء تفقد الأمل تبتعد عن حسين قليلا. فلا ترد على مكالمته التليفونية. أو تخرج من البيت عندما يأتى لزيارتهم. فيبدأ هو يجذب الحبل من جديد. برقه. يجذبه بحنان يجذبه بكلمات حلوة يجذبه، فتعود اليه. ويزداد خوفها وقلقها من المستقبل.

في تلك الأثناء أصبح مرض أبيها علامة مميزة في بيتهم. فهو منذ عودته من المستشفى واجراء العملية الجراحية وصحته لم تتحسن. وهي لا تصدق أن شعلة النشاط والمرح والمشاكسة تنطفيء هكذا. مثل الشمعة التي يخبو ضوؤها بالتدريج ويخيم على المكان عتمة. والطبيب يعاوده كل أسبوع وتكثر عقاقير الدواء، ونظام خاص للطعام. والأم تصرف كل دخلها، ومعاش الأب البسيط ومساعدات الأخوين الكبيرين البسيطة أيضا، ومرتب هناء وأخيها الأصغر. وبدأ شبح الديون يهدد الأسرة. ومضت أيام ذلك العام في مناقشة فكرة الزواج بين هناء وحسين حتى تهلهلت الفكرة، وأصبح الأمل في تحقيقها تحيطه الظروف اليائسة والتعسة.

وقالت له يوما من أيام ديسمبر ذلك العام أنهما قد تناقشا كثيرا في موضوع الزواج لكنه لم يقل رداً على سؤالها. فقال ماذا لو كان رده بالرفض قالت إن هذا يكون أفضل من عدم الرد. وقررت أن تبتعد عنه تماما إلى أن يقرر "أو" لا يقرر.



لا يدر أحد من الأسرة ماذا كان يحدث بين هذين الاثنين، ربما أخوها الموجود فى البيت قد لاحظ شيئا. وربما أمها قد لاحظت شيئا.وربما أخواها الكبيران قد لاحظا شيئا. لكن أحدا منهم لم يقل لهناء شيئا. وكل منهم له أسبابه فى نفسه لعدم الحديث أو التدخل.

واختفى حسين من البيت ومن التليفون ومن بيت صديقه جارهم. والكل لاحظ اختفاءه لكن أحدا لم يسأل عنه. وفهمت هناء معنى اختفائه. لفها شعور اليأس وزاد خوفها جو المرض فى البيت. وانكمشت فى نفسها تلف حزنها حولها كمعطف واق من البرد. لا تخرج إلا لعملها ولا تستجيب لمحاولة صديقاتها لاخراجها من هذه القتامة. وفهم زملاؤها وزميلاتها فى العمل أن حزنها بسبب مرض أبيها. ونصحها رئيسها المباشر الذى تكن له الاعجاب والحب، أن تبدأ فى العمل الذى تتمناه. أن ترسم لوحات فنية فالرسم التجارى الذى تقوم به فى عملها لن ينتشلها من هذا الحزن، وافقته على رأيه، لكن من أين تأتى بالمال الفائض لتشترى به معدات وأدوات الرسم، وكل مرتبها لمستلزمات البيت والمريض؟. وحتى لا يشعر المريض بتقصير

تجاه بيته ومرضه، كانت هناء تعمل المستحيل مع أمها وأخيها الأصغر لقاء ابتسامة نادرة من المريض، أو نظرة راضية من عينيه المتعبتين.

بعد شهر تقريبا من اختفاء حسين، سمعت هناء صوته خلال التليفون. لم تستطع أن تخفى فرحتها أو تتظاهر باللامبالاة. أخبرها أنه كان فى أوروبا، وطلب مقابلتها فى نفس اليوم، فهرعت إليه ناسية تماما قرارها بالابتعاد عنه.

قال إنه ترك لها الفرصة لتفكر. وسألها إن كانت مازالت عند رأيها فى الزواج منه. كان ردها بالموافقة.. وأخيرا قرر الذهاب إلى والديها لتحديد موعد عقد القران.

أرادت الأم أن تفرح بابنتها الوحيدة وأن يقيموا حفلة كبيرة وتحضر راقصة لتزف العروسين. اعترض حسين لأن الزحام فى البيت سيضايق الأب المريض، وربما تحدث له أزمة، واعترض على إقامة حفلة فى نادى ليلي أو أى مكان آخر قبل أن يبدى أحد هذا الاقتراح، فالأب لن يستطيع الخروج ومن الذى سيبقى معه فى البيت؟. وهكذا انتفت فكرة إقامة حفلة. واقتصر عقد القران على الأخوين وعائلتهما وعمها. وأبيه

وابنى أخيه، وأخته التى فى القاهرة. أما التى تعيش فى الصعيد فقد ارسلت برقية. واقترح صديقه جارهم أن يدعوهما فى الخارج بعد عقد القران مع بعض أصدقاء آخرين، أصرت الأم أن ترتدى ابنتها ثوبا أبيضا طويلا.

لم تعترض هناء على أى شئ. لقد وافق حسين أخيرا على الزواج. فلا داعى للشكليات، حتى لا يغضب أو لا يتم ما اتفق عليه. وقال لها مبررا تصرفه هذا. إنه ليس صغيرا حتى يقيم مثل هذه الحفلة أو تزفه راقصة. وأن النقود التى يقيم بها الحفلة هما أولى بها. والأهم من هذا وذاك أن الذين سيحضرون الحفل سيشترون سلال الزهور ويعتبرون ذلك هديتهم للعروس فى حين أنه إذا لم يقم حفلا سيحضرون لها الهدايا القيمة فى بيتها. ونصحها أن تقول لأقاربها وصديقاتها ألا يرسلون زهورا. وقد عملت هناء بنصيحته حتى ترضيه. حتى لا يغضب. ولم تبد تعجبها لمنطقه.

وهكذا كان حفل عقد القران بلا فرحة حقيقية، وبلا زهور.



وصل "حسين" إلى الأرض الزراعية في أول طريق الصعيد، واتجه بسيارته يمينا سار عدة كيلومترات إلى أن وصل إلى البيت الذى بنوه فى أرضهم الزراعية. نزل من السيارة. نظر إلى السماء الملبدة بالغيوم. ولعن اليوم بصوت مرتفع. سمعه حارس البيت الذى هرول إليه ليستقبله كعادته واستغفر الله وهو يقول : "حرام لعن أيام الله". ضحك حسين هذه الضحكة الصغيرة التى يطلقها من حنجرته، وسأله إذا كان أحد قد جاء وينتظره. سأله وهو يعلم مقدما بنفى سؤاله، فهو لم ير السيارة الكبيرة التى ستحضر لنقل الدواجن.

"قال الحارس" : البيه الكبير. عبد العال بيه موجود من الصبح بدرى. وصله مراد بيه وشرب معه شاى.

وقال إنه مستعجل : وحيتصل بسيادتك فى مصر.

هز حسين رأسه وهو يتمتم إنه يعرف هذا. ودخل إلى البيت المكون من طابق واحد وعدة حجرات وجد أباه فى مدخل البيت، أو هذا المكان المخصص لجلوسهم واستقبال ضيوفهم. وجده متدثرا بمعطفه الأسود الذى يرتديه فوق ملابس البيت أو الخروج طوال أيام الشتاء. و "حلاوة" الفلاحة السمراء الممتلئة

جالسة عند قدميه تدلكهما. قامت من جلستها عندما وجدت حسين، وقال لها الأب أن تعد لهما شايا، سأل حسين أباه اذا كان الرجل الذى سيشترى الدجاج قد اتصل به ليبرر تأخيره أو اعتذاره، أجاب الأب بالنفى وقال لحسين أن مراد جارهم فى "العزبة" حذره من التعامل مع هذا الرجل.

شعر حسين بتوتر، هذا التوتر الذى يشعر به عندما يتخيل شيئا يهدد أمواله، وأموال الأسرة. فهو وإن كان يدخل مشاريع تجارية بجرأة، إلا أن خوفه على رأس المال يجعله جبانا وكثيرا ما يفكر فى الرجوع عن هذا المشروع أو ذاك. وفى نفس الوقت لابد أن يعمل على استثمار المال، فهذا عمله. وفى اللحظة التى يخاف فيها على رأس المال يفكر فى مشروع جديد، وهكذا عرض حسين فكرة مشروع انشاء "مذبح آلى" فى المزرعة ليقوموا هم بتحضير الدجاج للبيع فى السوق مباشرة، ويكون المكسب مضاعفا، وبدلا من بهدلة الدجاج فى برد الشتاء وحر الصيف.

وكان حارس البيت جالسا عند باب المدخل يستمع فسأل حسين إذا ما كان الذبح الآلى حراما. أجابه ضاحكا إنهم سيجعلونه يجلس أمام المذبح "ليكبر على الدجاج" فيكون ذبحه حلالا. ودمدم الفلاح بكلمات لم يسمعاها.

استمع الأب باهتمام إلى مشروع ابنه القادم. فى جلسته المهيبة، ونظرات وجهه المهتمة الصارمة كأنه جنرال كبير يستمع إلى خطة حربية فى انتظار أن يبدى رأيه ويعارض. ويبدو أنه كان فى أحسن حالاته فلم يعارض. لكن هذا المذبح لابد أن يستوردوه من الخارج وهذا يتطلب أموالا كثيرة. وسأل حسين إن كان احد الباشاوات السابقين الذين عادت لهم ثرواتهم بعد فك الحراسات ويعرفهم يمكنه أن يشارك فى هذا المشروع. قال حسين متذمرا إن هؤلاء القوادين بعد أن عادت إليهم ثرواتهم تنكروا له. وكم منهم قد ساعده وقت خوفه وأزمته.وكم منهم جعله يكسب من استثمار أمواله التى كان يخفيها. وكان يمكن أن يشى بهم. وعليه أن يفكر فى ناس آخرين غير هؤلاء القوادين القدامى. فسأله الأب إذا كانت زوجته تستطيع أن تقنع أحدهم مادامت الصلة مازالت بينها وبينهم.

قال حسين غاضبا : "هناء" .. لا تريد أن تفعل من أجلى شيئا".

هز الأب رأسه وصمت.

كان الاب معجبا بهناء .. كان .. وربما لنفس الأسباب التى كان حسين معجبا بها. فهى شابة من عائلة عريقة. لها صلة وثيقة بأكابر البلد الأغنياء. فلابد أن تكون غنية. وهو ما كان يريده تماما لابنه. وكان يريدها أن تعيش معهم حيث يعيشون لترعى شئونهم ويكون للبيت سيدة. وعندما علم أنها تريد أن تسكن وحدها، غضب وقال لحسين إنه ليس رجلا. فالرجل هو الذى يحكم زوجته ويعلمها ما يجب أن تكون عليه من طاعة لرغبات زوجها. حاول حسين أن يقنع والده أن الزمن تغير، فلعن هذا الزمن الذى أصبح فيه للنساء رأى، وأصبح الرجال أنصاف رجال.

ولم يغضب حسين من أبيه، بل أنه كثيرا ما يضحك من كلماته الغاضبة المنصبة عليه، غالبا ما يتأثر الأب بضحكات ابنه فيضحك ويزول غضبه، ويفرح حسين بنجاحه فى اضحاك أبيه. وأحيانا يقول له إنه على

حق فـي رأيـه فتهـدأ ثورتـه. وبـالرغم مـن أن حسـين هـو المتصرف فـى رأس المـال الـذى يملكـه مـع الأب واليتيميـن ابنـى أخيـه، إلا أنـه دائمـا يستشـير الأب حتـى وإن لـم يعمـل بنصيحتـه، فهـو لا يريـد أن يشـعر أبـاه أنـه فقـد سـلطته القديمـة. والأب مـن جهـة لا يريـد أن يفقـد هـذه السـلطة وقـد تشـاجر مـع ابنـه ذات يـوم وأمـره أن يـترك البيـت ويعيـش وحـده. وبعـد عدة أيـام بكـى الأب عندمـا تحـدث ابنـه يسـال عنـه، ورجـاه أن يعـود ولا يتركـه فـى شـيخوخته وحيـدا. وهـو لا يستطيع أن يرعـى اليتيميـن وحـده.

وعـاد حسـين أكـثر شـوقا لابيـه. فهـو مرتبـط بـه عاطفيـا، لا يحـب أن يـراه منكسـرا أو مهزومـا ومرتبـط بـه ماديـا، فـإذا سـحب الأب رأس مالـه سـيضعف رأس مـال الابـن، ومـن ناحيـة اخـرى فـالأب لا يفهـم كثـيرا فـى المشـاريع التجاريـة التـى يدخلهـا ابنـه، بـالرغم مـن تدخلـه. وإذا ابتعد عنـه لـن يعرف كيـف يستثمر رأس مالـه.

لذلـك كـانت غضبتـه عندمـا علـم أن هنـاء تريـد أن تـأخذ ابنـه للإستقلال فـى حياتهمـا بعيـدا عنـه. وخـاف ايضـا

أن تجبره على الاستقلال برأس ماله، وبدأ اعجابه بها يقل. وعندما علم فيما بعد أنها من اسرة عريقة لكن ليست غنية زال اعجابه بها تماما. وإن كان لم يظهر هذا واضحا لابنه. الا أنه كان ينتهز الفرص ليبدى رأيه هذا لها. ففى يوم كانت تنتظر حسين فى بيتهم فى القاهرة وقد تأخر عن موعده ولاحظ الأب قلقها فقال لها إن ابنه مهمل، لا يعرف قيمة وقت الناس. وهو بوهيمى فى حياته، وكبر على هذا. وقال ما معناه إن التى تقبل رجلا فى طباع ابنه زوجا، فلابد أن قطار الزواج قد فاتها فتعلقت فى عربة البضاعة.

وابتلعت هناء اهانته. لكنها بدأت تشعر بالنفور منه. من كلماته الثقيلة وعدم مراعاته للذوق فى معاملة الناس عموما، وتصرفه كضابط شرطة قديم مع الذين يعاشرهم.

وعندما وجد أن ابنه حسين لم يستطع اقناع هناء بالحياة معهم لتوفير أشياء كثيرة، وأنه يبحث عن شقة بل وسيؤثثها ايضا، اتهمه بتبديد اموال اليتيمين ابنى اخيه. وثار عليه ثورة ضابط البوليس الذى يكشف مجرما. عندما علم أنه اشترى شقة

تمليك، فماذا ستفيده هذه الشقة الغالية، وكان الاجدر به أن يبنى مصنعا يدر عليه وعلى اليتيمين بعض الربح. ولم يعتبر ابنه رجلا، يتصرف برجولة إلا عندما اجر هذه الشقة التى يمتلكها. مفروشة. وكان ذلك اثر حادث خسارة فادحة حدثت لهم.

منذ حوالى ثلاث سنوات. علم حسين من "مراد" جارهم فى الارض الزراعية أنه جرب زراعة البطاطس فى ارضه ونجحت، وباع محصولها كاملا. وان السوق الأوروبية تحتاج إلى كميات كبيرة من البطاطس، فى موعد الزراعة التالية زرع حسين جزءا من أرضهم، ونجحت الزراعة وباع المحصول لمصدر خاص ثم زرع فى العام التالى جزءا كبيرا من الأرض بهذا النبات. ولما سمع المزارعون فى المنطقة بنجاح التجربة وصفقة العام الماضى زرعوا هم ايضا ارضهم. ولما وجد المصدر هذه الكمية من المحصول اشتراها بتحفظ. لم يدفع سوى ربع الثمن، ولم يحمل سوى نصف الكمية إلى أن يتصرف فيما اشتراه. فى ذلك العام تأخرت بواخر الشحن وتراكمت كميات البطاطس فى الميناء وحدث العفن فى المحصول. الذى وصل إلى أوروبا أعدم أو أعيد مرة أخرى.

والذى لم يرسل أعدم بعضه أو بيع بأبخس ثمن. وثار المزارعون على المصدرين، وثار المصدرون على المسئولين، وضاع المحصول، وضاعت الأموال. قالوا التقاوى كانت فى الاصل بها مرض. قالوا العرض كان أكبر من الطلب، قالوا تأخر الشحن هو السبب.

وثار الأب على ابنه لانه لم يعمل بنصيحته ولا يزرع هذه الكمية الكبيرة من البطاطس وفى أراضى الصعيد ودافع حسين عن نفسه أن الزراعة نجحت فى العام السابق وانه ليس السبب. وبيعت كميات المحصول الباقية بأبخس ثمن وامتلأت بيوت وبطون الأقارب والأصدقاء بالبطاطس حتى أقسموا ألا يأكلوه بقية عمرهم.

فى ذلك الوقت كانت شقة حسين معدة للتأثيث والسكن، وألقى الأب جملة مفيدة. "لماذا لا تؤثث شقتك سريعا وتؤجرها مفروشة سنة أو اثنين فالشقق المفروشة الآن تكسب كثيرا".

وكان حسين يفكر فى تعويض خسارة الأرض. بل كان يفكر فيما قاله أبوه. ونفذه على الفور.



جاء حارس البيت مهرولا وهو يقول إن السيارة قد وصلت. نظر حسين فى ساعته وقال إنه سيلقن هذا القواد درسا. نادى الأب على "حلاوة" لتحضر له حذاءه. جلست على الأرض تساعده فى وضع قدميه المنتفختين بجورب من الصوف السميك فى حذائه. وقف الرجل وهو يضع فوق رأسه طاقية صوفية لامست حاجبيه الكثيفان وارتفعت قليلا عن رأسه، وقال لابنه إنه سيمر على الزراعة إلى أن ينتهى هو من شحن الدجاج ومحاسبة الرجل، وأوصاه أن يلقى نظرة على الدجاج الراقد فوق البيض.

قبل أن يخرج الرجلان من البيت سألتهما "حلاوة" أن كان سيبقيان طول اليوم فتطبخ لهما شيئا، وقال الأب انهما سيعودان إلى القاهرة لتناول الطعام مع حفيديه.

وقف الرجل الكبير على اطراف الأرض المزروعة. بقامته الطويلة المنحنية قليلا ومعطفه الأسود وطاقيته الصوفية المرتفعة عن رأسه قليلا. وقد انحنى عنقه من الشعور بالبردوة ومن انحناءة ظهره، فبدأ مثل غراب عجوز تفرقت جماعته للبحث عن قوت يومهم وتركوه وحيدا لا يدرى ماذا يفعل،

فوقف يتأمل الارض، وينظر إلى السماء الملبدة بالغيوم، لا يعلم سوى الله فى أى شئ يفكر أو ربما لم يكن يفكر فى شئ.

بعد الحساب العسير بين مشترى الدجاج وحسين، وبعد الكلمات التى بلا معنى. وبعض النكات القديمة لتصنع شيئا من الألفة. وبعض الضحكات الجوفاء لتبدد الجو المتوتر نادى حسين أباه الذى لم يتحرك من وقفته الا عدة خطوات، ليعودوا إلى القاهرة. ألقى الاب بعض الأوامر لحارس البيت، واتجه إلى سيارة ابنه جلس بجواره، وجاءت "حلاوة" تتهادى فى سمنتها جلست فى المقعد الخلفى، بالرغم من جلبابها الأسود الطويل الذى تحرص على ارتدائه عند ذهابها إلى المزرعة وطرحتها السوداء، إلا أنها جلست بشعور من الامتلاء والثقة، مثل اصحاب الأراضى الذين يعودون من أرضهم مطمئنين أن كل شئ على ما يرام.

اسمها الحقيقى "حورية"، وقد ذهبت إلى بيت الأب فى الارض الزراعية مع أمها وعمرها عشر سنوات. خدمت مع أمها فى بيت المزرعة وبيت القاهرة. وعندما مرضت الام ولم تعد تستطيع الخدمة، كانت قد علمت ابنتها كيف تطبخ الطعام

وتنظف البيت وتطيع أوامر الاب الذى أطلق عليها اسم "حلاوة" أولا لأن ابنته التى تعيش فى الصعيد اسمها "حورية" ولا يصح أن تكون الخادمة بنفس الاسم. وكان الاب يرى بنظرة الرجل المجرب أن هذه الطفلة التى تتمتع بجمال أنثوى مبكر ستكون شابة حلوة. فى السابعة عشرة من عمرها وجدت "حلاوة" أنها مسئولة عن طلبات الأسرة المكونة من الاب والابن والولدين اليتيمين بشطارتها وطاعتها لأوامر الأب والتسرية عنه وتدليك عضلات جسده أصبحت سيدة البيت.

وعندما أجبرتها أمها على الزواج من أحد الفلاحين فى بلدتهم القريبة من المزرعة لم تستطع الحياة هناك، فهربت وعادت إلى الضابط المتقاعد سيدها الكبير الذى استطاع بما تبقى له من سمعة الماضى أن يجعلها تحصل على الطلاق، ووعدها أن يزوجها من عامل قاهرى يقدر قيمتها. ومنذ عودتها أصبحت سيطرتها واضحة على البيت.

ولما تزوج حسين وعلمت من الاب أن هناء ستعيش معهم، وجدت أنها ستفقد عرشها كسيدة للبيت فحزمت حقيبتها وأخبرت الأب انها ستذهب لتعيش بجوار امها المريضة. غضب

الاب لقرارها المفاجئ فأمها مريضة من زمن ولماذا الآن؟ ضغط عليها إلى أن اعترفت بالسبب الحقيقى، وقاله بدوره لحسين. فحدثها حديثا خاصا. وربما لأول مرة فى حياتها معهم أن أباه لا يستغنى عنها. وأن زوجته لا تريد أن تعيش معهم فى البيت. فاستردت ثقتها وسلطتها. ولم يكن اعجابها بهناء إلا لهذا السبب. أنها لا تريد أن تعيش معهم فى البيت فكانت ترحب بها عندما تذهب اليهم وتعد لها الطعام الذى تحبه. وهناء تعطيها هدايا ونقودا . ومرة واحدة تعجبت للصلة بينها وبين الاب، كانت فى زيارتهم ووجدت "حلاوة" تخرج من الحمام حيث كان الأب يستحم. وقال حسين بلا اهتمام ردا على نظرتها المتسائلة. انه لا يستطيع تنظيف ظهره وتدليكه. وصمتت هناء لم تعلق، بل اعتبرت أنه من حق الرجل الكبير أن يعيش حياته كما يريد.

بقدر ما كانت حلاوة تعجب بهناء لعدم تدخلها فى البيت وفى حياتها مع الأب، بقدر ما كانت تبغض الأختين. خصوصا هذه التى تحمل اسم مثل اسمها "حورية" وتعيش فى الصعيد. فهى عندما تحضر إلى القاهرة تفضل أن تضيق عليهم الدنيا وتنزل عندهم فى البيت وأولادها الأربعة وزوجها الثقيل الظل.

فى حين أن لها شقة خالية تؤجرها أحيانا مفروشة لكن سواء شقتها خالية أو مسكونة فهى تنزل عندهم وتلغى وجود حلاوة من البيت ومن حياة أبيها. وتعاملها بقسوة كأنها تلغى وجودها من الوجود. أما "علية" فهى لا تبيت عندهم إلا أنها كثيرة الملاحظات على حياة كل فرد. وتتدخل فى شئونهم، واشاعت مرة أن أباها متزوج من حلاوة زواجا عرفيا وكتب لها جزءا من الميراث. قلبت الدنيا ولم تعدلها بعد ذلك. وقال حسين لاخته انها اذا استطاعت ان تخدم اباها وتخدمهم كما تفعل حلاوة فهو أول من يعيدها إلى بلدتها. ولم تستطع "علية" هذا. لكن العداء ظل سافرا بين المرأتين.

حلاوة تعرف أسرار حياة الأسرة. إن لم يكن من مسامراتها مع الأب، فمن سماعها لمناقشاتهم التى تتسم بالصوت المرتفع. وقد علمت بغضب الأب على حسين عندما اشترى شقة ليسكنها مع زوجته، ولم تبد رأيها فى هذا الموضوع إلا عندما سمعت "علية" تناقش أخاها فيه. سمعتها تنصحه ألا يكتب الشقة باسم هناء. فقال مغيظا لاخته. ولماذا تحذره من الشئ الذى

فعلته هى مع زوجها؟ الم تتشاجر معه وقلبت حياته غما إلــى أن كتب الشقة باسمها أليس هذا من حق هناء أيضا ؟!

وهنا تدخلت "حلاوة" التى كانت عند بــاب الحجـرة وقـالت إن الست هنـاء تستحق كل خير، وكل ست عليهـا أن تضمـن معاشها ومعاش عيالها. وصرخت "علية" فى وجه حلاوة ولعنـت أباها واتهمتها بالتجسس عليهم لحساب هناء. وأيضا بنهـب بيت أبيهم. وكانت حلاوة تستعد للرد عليها. لـولا مجئ الأب علـى صـوت الشـجار أمرهـا بالابتعـاد. وضحك حســين لاسـتطاعته اغاظة اخته، وجعلها تظن أنه كتب الشقة باسم زوجتـه، الأمـر الذى كان بعيدا تماما عن تفكيره.

وتحرص "علية" فى نهاية كل عام أن تكـون موجـودة فـى مراجعـة الحسـابات لكـل شـئ عـن الارث الموعـود خوفــا مــن تسرب شئ لحلاوة. لكن الاب ليس هذا الرجل الـذى يفعـل مثـل هذا التهور، وإن كان يعطى حلاوة كل ما تطلبه مـن نقـود. هـذا هو الشئ الوحيد الذى تغير فى طبيعته منذ تقاعد.



هدأ حسين من سرعة السيارة. فقد بدأ المطر ينهمر، وغطى الزجاج الأمامى. عطس بشدة فغطى رذاذ عطسته الزجاج من الداخل أيضا فتوقف تماما. سأل حلاوة إذا كان معها فوطة أعطتها له، ونزل يجفف زجاج السيارة من الخارج، ثم جلس يجففه من الداخل، لكن المطر عاود تغطية الزجاج الخارجى. سأله الأب عن "المساحات" التى تجفف الزجاج فقال إن بها عطلا ونسى أن يصلحه. نهره الأب غاضبا مؤنبا، وأنه طول عمره مهمل، وفى أشياء هامة مثل "مساحات" زجاج السيارة. وكيف سيرى الطريق. والسحب تزداد ..و..و.. وبنفس الغضب طلب من ابنه أن يعود إلى بيت المزرعة ليبيتوا هناك.

قال حسين بهذا الهدوء الذى تعود أن يستقبل به ثورة أبيه، انهم فى منتصف الطريق وسيسير ببطء حتى يتحاشى الزلق، واضاء كشافات السيارة. وتذكر فجأة موعده مع هناء فى المساء. فهو لابد أن يعود إلى القاهرة ليسمع ماذا تريد أن تقول، ليهدئ من غضبها إذا كانت غضبى. ليعدها بهدايا يحضرها لها من أوروبا. لابد أنها تريد أن تحدثه عن الشقة التى يملكها ويؤجرها مفروشة

فهى تعلم بقرب انتهاء عقد الإيجار، لكنه لم يجد الوقت المناسب ليخبرها برغبة الرجل الدبلوماسى الأجنبى فى تجديد العقد لمدة سنة أخرى. لابد أن يخبرها بضرورة تجديد العقد لمصلحتها، لكن كيف سيخبرها.. وماذا تريد أن تقول؟!

❀ ❀ ❀

"البيت .. البيت .. من أول يوم تحدثنا فيه عن الزواج وهى تقول البيت .. كأن الزواج ليس إلا بيتا. هذه الغبية. عرضت عليها كل الحلول المريحة ورفضتها. عرضت عليها أن نسكن فى شقة أختى. حورية. وعندما تحضر القاهرة نستضيفها. وهى على أى حال تحب النزول فى بيتنا وتؤجر شقتها مفروشة، وقلت لها إن أختى لن تأخذ منى المبلغ الذى تأخذه من الغرباء. شاهدتها هناء هانم، ونظرت إلى الأثاث وقالت بهذه النعرة التركية. لا مانع أن نعيش فيها على أن أغير الأثاث. خصوصا حجرة النوم. ماذا بحجرة النوم ؟! .. قديمة غير نظيفة. لونها قاتم. الفراش احتوى أجسادا كثيرة من المستأجرين. لا أستطيع أن أفهم سخافة أفكار الناس. اليس هو

فراش لتستريح اجسادهم فوقه .لا. لابد من مواصفات معينة لحجرة النوم. للفراش. تريد حجرة نوم جديدة لونها وردي .. يا سلام .. وردى .. لماذا لا يكون لونها بنفسجى. أفكار سخيفة توارثها الناس. خصوصا هذه العائلات التركية العريقة المفلسة.

لم أوافق على تجديد الأثاث. فمن ناحية ستعتقد أختى أننى سأستولى على شقتها، ومن ناحية لم اضمن استمرار هناء فى الشقة، وهنا يمكن أن تحضر اختى وتستولى على الأثاث الجديد بتأجير الشقة مفروشة. استسخفت افكار هناء، وعلى أى حال لم ترض أختى أن تؤجرها لى مفروشة، اعتقدت أننى يمكن ان استولى على الشقة حتى بدون إعادة تأثيثها..!

نعم لا أريد أن اصرف شيئا من أموال اليتيمين. هكذا قلت لهناء. فسألتنى أليس لى جزء منها؟ . نعم لى جزء. ولهما جزء ولوالدى واختاي جزء. لكن الجزء الخاص بى أستثمره فى التجارة، وحتى أكون قويا فى سوق المال. لابد أن يكون لدى المال. والمال الذى تريدينه لتأثيث شقة انا محتاج إليه. السوق محتاج إليه. وفى هذا الوقت الذى انفتح علينا سوق التجارة والتصدير والإستيراد تريدين أن اسحب منه اموالى. اضعف

نفسي؟ . في سبيل تأثيث شقة ولدينا بيوت كثيرة. بيت والدي. بيتنا في المزرعة وبيتكم. ما هذه الافكار السخيفة الأنانية ؟

ومع ذلك عرضت عليها شقة أخرى ممتازة من جميع الجهات في العمارة الفخمة التي تسكنها. صفاء. في حي الدقي. بكت صفاء يوم علمت بزواجي. قلت لها يا صفاء انا اكره دموع النساء وثوراتهن فلا تخسريني. قالت إنها لم ترد يوما شيئا سوى راحتي وسعادتي وإن كانت تتمنى أن اتزوجها هي إلا أنها لا تريدني أن اتركها وحدها في وجه الزمن. اقسمت لها الا أتركها. وبشئ من الدبلوماسية عرفتها بهناء، على أنها صديقة عمل. ولم أكذب. بتجارب صفاء في الحياة وذكائها رحبت بهناء في بيتها وتقربت إليها لتكسب صداقتها وحتى تقربني منها ايضا. تقبلت هناء. هذه الصداقة بتحفظ.

كانت صفاء تحرص على دعوتنا يوما في الأسبوع لتناول العشاء والسهر معها. وفي يوم اخبرتنا بفرحة أن في العمارة التي تسكنها شقة اصحابها سيهاجرون ويعرضونها للبيع. لكن المشكلة مع صاحب البيت، وإذا اعجبت هناء، فهي ستفعل المستحيل مع صاحب العمارة لتغيير العقد وهذه الأشياء. وقالت

لى صفاء وأنا فى زيارتها وحدى إنهـا تتمنـى أن نسـكن قريبيـن منها، لتراني كل يوم. ولن تجعل هناء تتعب فى شئ من أعمـال البيت. سترسل لها طباختها لتطبخ. والرجـل الـذى ينظـف. وإذا استدعى الامر أن تطبخ هى لنا سـتفعل. هـل توجـد راحـة أكـثر من ذلك يا هناء؟

لكن هناء نظرت إلى نظرة شك، ورفضـت بـاصرار هـذا العرض المغرى. حاولت أن اسـتميلها بأمنيتهـا فـى شـراء أثـاث جديد وحجرة نوم وردى. سألتنى لماذا الآن اجـد المـال الفـائض لشراء الأثاث .. لأننا وجدنا الشقة الممتازة. قالت غاضبة.

ـ "لا أحب أن أعيش مع عشيقتك فى بيت واحد".

صرخت فى وجهها لأخفى المفاجأة. وسألتها من الذى قال لك هذا الكلام السخيف.

ـ صديقك سيد.

ـ متى قال لك .. ومن أخبره أننا سنسكن هناك ؟

ـ حدثنى من يومين، كان يسـأل عنـك وسـألنى إن كنـا قـد وجدنا شقة، قلت له عن صفاء والشقة التـى فـى عمارتهـا. فقـال

أنها عشيقتك. وكيف تسمح لنفسك. قاطعتها قبل أن تكمل جملتها.. هذا القواد سأخرب بيته .. وجدت أن الثورة فى هذه الحالات لا تفيد. شرحت لهناء علاقتى بصفاء. إنها فعلا كانت عشيقتى.. لكنى تزوجتك أنت يا هناء ألا تقدرين هذا ؟!

هدأت ثورة غضبها قليلا واستكانت فى حضنى .. قبلتنى. أثارتنى. قبلتها. طلبت منها أن تغلق باب حجرتها بالمفتاح واغلقته. سألتنى وهى مستكينة على صدرى أن أقطع صلتى بصفاء. قلت لها إن هناك معاملات مالية بيننا وإذا كانت لا تصدق أنه لم يعد هناك علاقة أخرى، عليها أن تذهب معى كلما ذهبت إليها. فقالت إنها لا تريد الذهاب إليها وعلى أن أنهى هذه المعاملات معها. ووعدتها بذلك.

لكنى لم استطع قطع صلتى بصفاء. لم أرد. فغير المعاملات المالية بيننا فهى على صلة قوية ببعض اصدقاء زوجها الراحل. ولهم سمعة طيبة فى سوق المال. وألتقى بهم عندها. كما أن ابنها المهاجر فى امريكا يمكنه أن يسهل لنا الأمور هناك. وقد وعدنى بالقيام برحلة عمل فى بعض الولايات الأمريكية. الغبية هناء. كان يمكنها أن تستفيد من الشقة ومن

حماستى لشراء الاثاث ومن الخدمات التى ستقدمها لنا صفاء. كان يمكنها أن تتغابى عن علاقتى بصفاء!. ماذا فى أنها كانت عشيقتى. كل رجل له عشيقة وغالبا لا يتزوجها .. لماذا لا يتزوجها؟! .. لابد أن الرجال اغبياء. قوادون بطبيعتهم.. لماذا لا يتزوجون عشيقاتهم؟ .. لماذا لم اتزوج صفاء؟ . فهى تفهمنى جيدا تعمل على راحتى وإرضائى فى كل شئ. حتى ألاعيب السوق تفهمها معى. لكن كان من الصعب أن اتزوجها واظهر بها للناس. من ناحية فهى فى أول علاقتنا لمحت أنها تفضل الزواج العرفي حتى تبقى على معاش زوجها الكبير، ولا تريد أن يعلم أحد بهذا الزواج. ومن ناحية نفسية فهى ليست بالمرأة التى ترضى غروري الاجتماعى.

أما هناء فهى الوردة البيضاء التى أضعها على صدرى افاخر بها أمام الناس. ومن مميزات هذه العائلات العريقة المفلسة أنهم يعلمون ابناءهم اللغات. لا أدري كيف استطاعت هناء أن تتقن لغتين تماما. الانجليزية والفرنسية. وتتحدث أيضا بالألمانية والإيطالية وإن كان بدون اتقان. عندما تركتها شهرا وسافرت اوروبا قبل الزواج. كانت الثلوج البيضاء تعكس لى

وجهها الأبيض، وفكرت أن ذات الوجه الأبيض ستكون عونا لى فى معاملاتى مع الاجانب. هى الوردة البيضاء التى أضعها على صدرى وأقابل بها الأغراب. بمظهرها أناقتها واتقانها اللغات كانت تبهرهم حقيقة.

الرجال ليسوا اغبياء، كان لا يمكن أن اتزوج صفاء. قررت ألا اضاجعها بعد زواجى من هناء. واستمريت على قرارى هذا لفترة طويلة. لكن بعد أن بدأت هناء تتهرب من مضاجعتى، أو ترضينى مضطرة فلا استطيع أن امتلكها كما لو كانت عادت عذراء... وبعد أن أصبحت كثيرة الغضب والشجار. لم اجد سوى صفاء تحتوى جسدى وتهدئ من غضبى.. حقيقة تزوجت هناء لان عقليتها مختلفة عن النساء اللاتى قابلتهن وسمعت عنهن. عقليتها متفتحة. تقرأ كثيرا بحكم عملها. وهوايتها. لكن يبدو أننى خدعت. حديثها قبل الزواج، غير حديثها بعده. أعجبتنى شخصيتها المستقلة. لكن هذه الشخصية أتعبتنى. لا تسمع الكلام. الذى فى رأسها تريد تنفيذه. عندما علمت بعد وفاة أبيها أنهم لم يرثوا شيئا، وعندما ألغوا الحراسات ولم أجد لديهم شيئا تحت الحراسة لم أغضب كما

ظنـت هنـاء. فالدخـول فـى الـزواج مثـل صفقـات التجـارة، أحيانـا تظـن أن الصفقـة رابحـة تمامـا، ويـأتى شـئ خـارج عـن إرادتنا أو يفوتنا شئ صغيـر جـدا يجعلها خاسـرة تمامـا. تعلمـت هـذا مـن سـوق المـال. وتعلمت ألا أغضـب بـل أعـوض الخسـارة بربـح آخر.

وقـالت لـى هنـاء إننـى لـم أسـالها عـن هـذه الأشـياء قبـل الـزواج، وإن كـانت هـى قـد لمحـت لـى بذلـك ربمـا لـم افهـم.. ضحكت يومها وقلت لها يا هناء انا ناسبت عائلة كريمة لذلك لـم أسأل عن شئ آخر، وكانت رقيقـة ممتنـة وهـى تقبلنـى شـاكرة. وظننت أننى فى هذه الحالة استطيع أن اجبرها بالسياسة أن تأتى وتعيش معنا، خصوصـا أنها لم تعد تطيق بيتهم بعـد وفـاة أبيهـا. فكرت أن أعوض الخسارة بربح آخـر كمـا أفعـل فـى الصفقـات وكنت مخطئا.. فالذى فى رأسها لم يتغير. تريد الحياة المسـتقلة. هى مثل بقية النساء تظهر عقلياتهن التافهة فـى الأمـور الجـادة. ومع ذلك وجدتها تتعالى على عقليات النساء زوجات أصدقـائى. انبتها كثيرا. واغتظت منها يوما، فقلـت لهـا إن نسـاء أصدقـائى افضـل منـك لأنهـن يعملـن علـى راحـة ازواجهـن، وغضبـت.

صالحتها لأنها مغلوبة على امرها. طيبة. تحبنى وليس لهـا أحـد سواي. يا هناء مادام ليس لك أحد سواي لماذا تعانديني ؟ صفـاء ليس لها أحد سواي لكنها لا تعاندني .. امرأة مجربة. تفهم كيف تعامل الرجال.. لكنى لا أثق فيها".



تراءت صورة "صفاء" و"هناء". أمـام حسين فوق زجـاج السيارة المغبش بميـاة المطـر .. الأولـى بجسـدها الممتلـئ الـذى تحافظ على عدم زيادة امتلائه مع زيادة سـنين العمـر. وشـعرها الطويل الذى تعقصه خلف رأسها وتصبغ نصفـه وتـترك نصفـه فيبدو خليطـاً مـن اللـون الأصفـر الداكـن والأصفـر القريـب مـن الفضى. والثانية بجسدها الدقيق كـأن الخـالق قـد صنعـه بـأدوات هندسية بارعـة، وشـعرها الأسـود الـذى تتركـه يحيـط وجههـا وتجعله دائما فى طول عنقها فتبدو أصغر من عمرها. صفاء .. وهناء.. اسمان يصلحان لثنائى راقص. أو ثنائى نغـم .. ضحـك حسين وهو يتخيلهما معا بتناقض جسديهما فوق خشبة مسرح.

سـأله أبـوه. هل يضحـك علـى خيبتـه، إنـه لـم يعـد يـرى الطريق لإهماله اصلاح "المساحات". أم لاى شئ يضحك؟ . قال

حسين وقد ازدادت ضحكاته إنه تخيل شيئا مضحكا. فقال الأب ممتعضا أن هذا ليس وقتا مناسبا للضحك. ثم التفت إليه وقد تذكر شيئا. وقال إن "الخواجة" سأل عنه بالأمس ليجدد عقد إيجار شقته المفروشة. ولم يرد أن يعطيه رقم بيت هناء حيث كان .. ثم سأله هل اتفق معها على تجديد عقد الشقة؟!.. صمت حسين وفهم الأب أنه لم يحدثها في هذا الشان مع أنه أمضى الليل عندها.

❀ ❀ ❀

"البيت .. هذه الكلمة ثقبت بها رأسى. بالرغم من أنى ارحتها، واشتريت شقة تمليك فى عمارة لم تكن تحلم بها. فى مكان هادئ. أمام سفارة وحديقة. تعرفت على صاحب العمارة من خلال صديق لى. وعلمت أنه يريد البناء لكن توجد بعض المشاكل على الأرض. عرفت المشاكل. خلال معارفي فى الجهة التى يعنيها أمر الارض، والقيت بعض النقود هنا وهناك. واخدمني يا صديقى وأنا أخدمك. وحللت للرجل مشكلة لم يكن يحلم بحلها. أعطانى ظرفا مغلقا فيه نقود ورفضتها. قلت له الخدمة التى تقدمها لى هى أن تبيع لى شقة فى عمارتك. رحب

الرجل. أخذت هناء وذهبنا إلى موقع الأرض الفضاء. فرحت بالمكان واخترنا شقة على الخريطة. أرادت هناء أن تسكن فى الدور السادس فأقنعتها بالدور الثالث حتى يمكننا أن نصعد السلم بلا تعب فى حالة تأخر تركيب المصعد أو انقطاع الكهرباء. ولأنى أيضا اكره الادوار العالية. خدمنى الرجل فى ثمن الشقة فلم يأخذ منى مثل الآخرين، ودفعت له جزءا على أن أدفع له بقية الثمن على أقساط. لكن هذا القواد طمع فى الشقة الوحيدة التى باعها رخيصة وقال إن البناء تكلف أكثر مما دفعت، والمواد ارتفعت سعرها، وطلب منى أن أدفع له عدة آلاف أخرى، أو يعطينى ما دفعته وأترك له الشقة. متى؟!..

فى ذلك الوقت الذى خسرت فيه صفقة الزراعة. طبعا وأنا أرى هذا السعار الذى أصاب أصحاب العمارات والخبل الذى أصاب من يشترون كان لا يمكن أن اترك صفقة كهذه. هل أترك لهذا القواد شقة يمكن أن أكسب من تأجيرها مفروشة أو أبيعها عندما اسدد كل ثمنها بأضعاف ما دفعت؟

دفعت ما طلبه كاملا. لم يعرف أحد، حتى الجنرال المتقاعد الذى أطلعه على كل شئ. لم يعرف .. الكل علم

بخسارتى الزراعية، لكن لم يعلم أحد بخسارتى فى الشقة. اضطررت أن أحكى لهناء عن خساسة هذا الرجل، لم أخبرها أننى دفعت له ما طلبه. فقط قلت إننى مضطر أن أأجر الشقة مفروشة حتى أستطيع أن أعطى للرجل ما طلبه وإلا اضطرنا إلى تسليمها له. اتفقت مع الرجل الدبلوماسى الكبير الذى يعمل فى السفارة التى أمام العمارة وبسهولة وترحاب وافق على دفع إيجار شهرى كبير. أثثتها بالأثاث المناسب لدبلوماسى. ساعدتنى "صفاء" فى تأثيثها وأثثت حجرة شرقية من مقاعد وكنب عربى وستائر شعبية من هذه الأشياء التى تعجب الأجانب. ساعدتنى المرأة التى ارادت هناء أن أقطع صلتى بها!.

أما هناء فقد أقامت محزنة. وإنه كان يمكننى أن أدفع للرجل من رصيدى فى البنك ماذا تعلمين عن رصيدى؟. واذا كان هذا ما فعلته فعلا، فهل أضعف نفسى فى السوق ؟ ماذا لو وجدت فجأة صفقة كبيرة، ولا أجد المال الكافى لها؟ لقد دفع الرجل نصف مبلغ الإيجار لمدة عام. ودفع الباقى بعد شهرين ليضمن بقاؤه فى الشقة. وعوضت نصف ما دفعته لصاحب العمارة. وفكرت أنه إذا أجرت الشقة عاما آخر أو عامين

سأعوض كل ما دفعته ويزيد. ويمكنني أن أسدد بقية ثمن الشقة دفعة واحدة، أو أطلب من الرجل الدبلوماسي أن يعطيني نصف الإيجار بالعملة الصعبة تنفعني إذا سافرت الخارج أو أفتح حسابا بالعملة الأجنبية. وسيعزز مركزي في سوق المال.. لكن كيف أقول هذا لهناء ..! وهي قطعا تريد أن تحدثني في المساء بشأن الشقة. ومتى سننتقل إليها.. لكن لماذا كان صوتها بهذا الهدوء والغرابة كأنه ليس صوتها ؟! .. وقد تعودت على صوتها الغاضب في مناقشة موضوع السكن؟.."



من خلف زجاج مطعم الفندق جلست هناء تنظر إلى السماء الملبدة بالغيوم والأمطار والنهر. النيل الهادي بفعل الرياح أصبحت أمواجه مثل البحر. والشجر كأنه سينخلع من الأرض. كان ضمن أحلام طموحها الخاطئ مكانا صغيرا على شاطئ البحر.

من خلف الزجاج امتد نظرها إلى الجانب الآخر من النهر. إلى المباني العالية. ناطحات أحلام، وليست ناطحات

سحاب، كان ضمن أحلام طموحها الخاطئ مكانا صغيرا ومريحا فى إحدى هذه البنايات العالية.

من خلف زجاج مطعم الفندق تشعر هناء بالدفء فى المكان المكيف، وترى البرودة فى الخارج. الموسيقى الهادئة فى أذنيها. وصوت الرياح لا تسمعه فى الخارج. كانت حياتها هكذا. طفولتها وشبابها، رأت الحياة الجميلة مريحة فى خلف زجاج صنعه لها أبوها. ترى شفاه الناس تتحرك ولا تدرك ماذا يقولون. ترى وجوههم مبتسمة، ولا تعرف ماذا يخبئون. وعندما مرض الأب حدثت شروخ فى الزجاج النقى فلم تعد الرؤية واضحة فى خلاله. واختارت هناء زوجها خلال تلك الرؤية غير الواضحة، وعندما رحل الأب تهشم الزجاج تماما وبدأت تسمع ما تنطق به شفاه الناس وتتعجب وترى ما وراء ابتسامتهم وتصدم.



كان حسين يعود أحيانا من المزرعة فى المساء ويذهب إلى منزل هناء مباشرة. يتناول طعام العشاء معها وأخيها وأمها

أو بمفردهما، ويجلس قليلا مع الأب اذا كان مستيقظا ثم إلى حجرة هناء. يريدها. كانت فى أول الأمر تحاول أن ترضيه بالرغم من الظروف النفسية المحيطة والظروف النفسية الخاصة. ثم أصبحت تقول له بدون أن تجرح مشاعره، إن سخان المياة مشتعل فى الحمام، فماذا لو أخذ حماما بعد عناء العمل والسفر.

ولا يعلم سوى الله ماذا كان يدور فى رأس حسين فى مثل تلك اللحظات. فهل كان يعتبر رغبة هناء فى نظافته إهانة له. أم أنها تريد التهرب منه لأنها لا ترغبه فى وقت يرغبها هو، أم كان يريد أن يعاندها ويغيظها لأن هذا من طبائعه.

فى مثل هذه الأوقات وبعد أن ينظر إلى ساعته، ويذهب إلى بيت ابيه فى منتصف الليل أو بعده بقليل. كانت هناء تغير ملاءات فراشها بأخرى نظيفة وتدخل إلى الحمام تستحم، وتسيل دموعها فى المياة المنسكبة عليها .. وتتساءل.. لماذا يخمد شعور النشوة. بمثل هذه التصرفات التى تضايقها. لماذا يعاندها هكذا.. لماذا يقتل النشوة بشعور القرف؟!..

ذات ليلة باحت لـه بصراحـة عـن مشـاعرها وتسـاؤلاتها.
ولم يتقبل كلامها بصدر رحب، فهل كان يتجاهل كلمـة بسـيطة.
أنه بارضاء مشاعرها يسعد نفسه ايضا..!

وكـانت ليلتهـا لـم تسـتطع التجـاوب معـه، ولسـبب آخـر ايضـا أنهمـا تحدثـا فـى موضـوع السـكن، وقـال فـى شـبه شـجار إنـه لا يسـتطيع الآن لوجـود مشـروع كبـير سـيدخله، وقـالت إن مشـاريعه أكـثر نجاحـا إذا عاشـا معـا فـى راحـة، قـال .. وكيـف يشـعر بالراحـة وهـى فـى معظـم الوقـت ليسـت متجاوبـة ؟! وقتهـا لـم تـدر مـاذا تقـول لـه، كيـف تشـرح لـه. ألجمهـا الصمـت والاحبـاط وخـرج غاضبـا، وقفـت فـى شـرفة حجرتهـا. ارتكنـت علـى سورها وأجهشـت فـى البكـاء.

وربما كانت أمها قلقة فـى نومهـا. أو قـامت علـى صـوت أقدام حسين وهو يتجه إلى الباب الخارجى غاضبا، سـارت إلـى حجرة هناء، ووجدتها على هذا الوضع اليائس الباكى على سور الشرفة اقتربت منهـا بحـذر، لمسـتها بهـدوء حتـى لا تفزعهـا، وكانت نظرة الأسى الغارقة فى الدموع التى رأتها الأم فى عينى ابنتها كفيلة بأن تجعلها تلطلم خديها على حظ ابنتها التعس. لكـن

الأم ليست هذا النوع من النساء اللاتى يبدين انفعالاتهن الحزينة بمثل هذه التصرفات الهمجية، أخذتها فى حضنها وسالت دموعها معها، سحبتها إلى داخل الحجرة، ووقعت عيناها على الملاءات مكومة على الأرض. شعرت هناء بالخجل وزادت دموعها. فأمرتها الأم أن تدخل لتستحم بينما ستعد لها كوبا من اللبن الساخن وتحضر لها مفارش نظيفة لفراشها.

لقد كانت الأم تلاحظ كل شئ فى صمت. كثيرا ما كانت تلاحظ هناء بعد أن يخرج حسين خصوصا عندما يأتى من المزرعة، كانت تجدها تكنس الأرض فى الأماكن التى سار أو جلس فيها، فقد كان يلبس حذاء سميكا اشتراه من أوروبا خاص للسير فوق الجليد، يلبسه عندما يذهب للمزارع. فيدخل الطين المبلل بين الاماكن المجوفة من نعل الحذاء، وعندما يجف فى آخر اليوم يتساقط على الأرض، وكانت تلاحظ أيضا تغييرها ملاءات الفراش، وكانت تسمع صوت شجارهما احيانا وهى فى طريقها إلى الحمام أمام غرفة هناء، كانت تلاحظ أشياء كثيرة، لكن ماذا تفعل .. هذا هو اختيار ابنتها.

قبل عقد القران قال لها العم: "يا فكرية هانم لابد أن تتدخلى وتقولى لهناء أن تتريث قليلا، فهذا الرجل ليس من ثوبكم. حياته غير حياتكم. أخلاقه غير أخلاقكم. وقد لاحظته فى أشياء كثيرة صغيرة. وسالت عنه بعض معارفه."

وقالت الأم بنبرة الحزن التى لازمتها منذ مرض زوجها : "هناء لابد أن تتزوج فإذا مات أبوها وهى وحدها فى الدنيا. سيكون حزنها مضاعفا، لا يخفف وقع الحزن سوى الزوج والولد.. وهذه فرصة أن تتزوج رجلا يكفل لها حياة كريمة مريحة ولا تنسى وقفته الشهمة من أحلك ليلة مررنا بها."

اعتذرت هناء لأمها فى صباح اليوم التالى عما حدث فى الليلة السابقة فنصحتها أن تهذب من عادات زوجها المستهجنة. بالتعاطف والسياسة ربما ينصلح.

وإن كانت هناء استطاعت أن تهذب قليلا من عادته هذه التى تنفرها منه، الا أن شعور الاحباط بدأ يتسرب إليها، وهى مازالت فى العام الأول لزواجها وأصبحت لا تشعر بالرغبة الا فى أوقات نادرة، عندما يكون حسين لطيفا معها فى الحديث

والتصرف والمعاملة وفى أغلب هذه الأوقات كان يخمد رغبتها فتشعر بالخجل أو الاهانة، ويجمع شعور الاثنين معا.



كان حسين مستلقيا بجانب هناء فى فراشها، بعد الغذاء فى يوم حار وقت القيلولة داعبته. اقتربت منه. قبلته تبادلا عدة قبلات.نظر إلى ساعته وقال إنه لا بد أن يخرج ليؤدى واجب عزاء فى تشييع جنازة شقيق لأحد أصدقاء العمل. غاصت نشوتها. قال إنه سيحدثها من شقة أخته بعد أداء الواجب لتذهب له. قامت. أخذت حماما .. تعطرت. تزينت. ارتدت ملابسها. انتظرت إلى أن حدثها وذهبت إليه. تبادلا القبلات. نظر تجاه النافذة. "الجيران: اغلقى: النافذة". قامت أغلقت النافذة خلعت ملابسها خلع ملابسه. نظر إلى ساعته وقال إن صديقا له سيحضر بعد نصف ساعة، وربما يحضر قبل ذلك، فقد ترك معه مفتاحا حتى إذا جاء قبل وصوله، وبصحبته رجل يريد تأجير الشقة.

"إغلقى باب الشقة بالقفل الداخلى." قامت. وجدت القفل الداخلى مخلوع. عادت. "القفل مخلوع". "خذى

مفتاح الباب ضعيه فى الداخل فلا يستطيع أن يفتحه من الخارج ويطرق الباب". قامت. وضعت المفتاح فى ثقب الباب من الداخل. نظرت إلى ساعتها. بقى ربع ساعة ويحضر صديقه، وقفت بجوار الباب عارية من ملابسها. من عواطفها من رغبتها. عادت إليه متراخية. جلست على حافة الفراش وشعرت أنه قد شيع رغبتها فى الجنازة التى كان بها، فقامت مسرعة ترتدى ملابسها. سألها هل سمعت طرقات على الباب .. هزت راسها بالإيجاب.

ارتدي ملابسه. خرج مسرعا. عاد. "لا يوجد أحد هل سمعت طرقات؟".. ربما كانت الطرقات فى رأسها. سمعتها فى رأسها. اقترب منها.. "لدينا بعض الوقت" هزت رأسها بالنفى. باليأس. أخذت حقيبتها، وسألته. "هل تعرف معنى الاحباط؟" نظر إليها متعجبا. لم يرد وخرجت.

"الاحباط شئ مثل سوسة الخشب تنخر فى النفس ولا نراها. ربما نسمع صوت نخرها أحيانا. لا أريد أن أكون مثل لوح الخشب الذى يقع فجأة. يتفتت من الداخل ينخر السوسة. أصبحت أقاوم. أعاند. وفى نفس الوقت أردت أن أصلح ما

بيننـا. لا أدرى مـاذا حـدث بيننـا. أقـول هـو لأنـه لا يتفـاهم. ويريدنى أن أنفذ رغباته مهمـا كـانت متعبـة لـى. أو مهينـة لـى. ويقول أنا، لأنى لم أنفذ هـذه الرغبـات. أولهـا أن أحمـل حقيبتـى وأعيش فى بيتهم وآخرها أن أتجاوب معه فى أى وقت يريدنـى. وفى أى مكان.

كاد أن يغمى على من الفزع والخجل عندما نسى أن يغلق بـاب حجرتـه مـن الداخـل فـى بيـت المزرعـة، ووجـدت رأس الجنرال العجوز تطـل علينـا مـن البـاب ويـأمره أن يقـوم ليقـابل الناس الذين جاءوا للاتفاق على العمل. وعند عودتنا فى السـيارة أنبنا أمام "حلاوة" خادمتهم. ألا نستطيع أن نصبر على شـهواتنا وقد جئنا للعمل وليس ... وقـال لفظـا سـوقيا. وقتهـا لـم أسـتطع مجاراته أو الـرد عليـه بنفس طريقتـه. قـالت "حـلاوة" .. "يابيـه عرايس جداد" ضحك حسين وكدت أموت من الخجل.

شـعور الارهـاق أصبـح يلازمنـى. صـداع مختلـف. أرجـوك خذنـى إلـى مكـان هـادئ يسـتريح فيـه رأسـى ونفسـى، وتجـدد عواطفـى. لكنـه فـى يـوم أجـازتى يـتركنى وحـدى.. جـاء منشـرحا. متربـا مـن الطريـق، يحكـى عـن العمـل الـذى

أنجـزه مـع اصدقـاء فـى أرضهـم. يحكـى عـن نزهـة مـع أصدقائـه وتمتعهـم بيومهـم. وكرهتـه. سـألته لمـاذا لا يجـد وقتـا للعمـل إلا فـى يـوم أجـازتى. كنـت أريـد وقتـا لـى. أبتعـد عن جـو المـرض الـذى يحيطنـى فـى المـنزل.

❀ ❀ ❀

فى صيف تلك السنة الأولى للزواج سألها أن يذهبا لعدة أيام إلى شقة صديق لـه فـى الاسكندرية فرحت هنـاء لاهتمامـه بها. لترتاح فى نزهة. ذهبت وفى رأسها أوهام بالنشوة المختبئـة وانطـلاق العواطـف، والحديـث الهـادئ وصـلا إلـى الاسـكندرية وقت الغروب اشترى مأكولات خفيفة لوجبات الفطور والعشـاء، وكانت الشقة صغيرة جديدة فى مواجهة البحر. دارت فيها هنـاء تضـئ أنوارها وتفتح أبوابها. وتعلقت فرحة بذراعيها فـى عنقـه لتشكره، وتمني نفسها بالراحة معه وبجـواره. أمسك بذارعيهـا. أبعدها عنه وحذرها من اثارته، لانه متعب مـن قيـادة السـيارة، ولا يريـد أن يقـوم بمجهـود آخـر. وعليهـا أن تنتظـر للصبـاح. شعرت بخجل وغيظ وهزت رأسها، فهى لم تقصد اثارتـه، انمـا فقط أرادت أن تشكره بعاطفتها.

فى تلك الليلة لم تستطع أن تنام كما منت نفسها، فى راحة وبلا قلق. استيقظت على صوت عاصفة، البحر هائج والرياح تصدر أصواتا "أنا خائفة من العاصفة". كان ظهره لها. "امسكى ظهرى". كان الوضع غير مريح . "احتضننى أنت". "انتظرى إلى الصباح أنا متعب من قيادة السيارة". ولم تكن ترغب شيئا سوى الشعور بالأمان فى حضنه. وشعرت بغربة هائلة. والأيام الثلاثة التالية عمقت شعورها بالغربة بجواره.

وكانت ترحب بدعوة أصدقائه وبعض أقاربه ليخرجا معهم. أو يذهبا لزيارتهم على شواطئ مختلفة. تعجبت هناء من نفسها. ها هى معه فى شقة خالية طوال الليل وبعض النهار ومع ذلك لم تنطلق العواطف كما تمنت انطلاقها. ولم يكن الحديث بينهما هادئا.



وقت العصر كانت تستمع إلى موسيقى كلاسيك من الراديو. سألها لماذا لم تتعلم العزف على آلة مثل أبيها. قالت إنها تحب الاستماع إلى الموسيقى لكنها فشلت فى تعلم العزف على آلة. لم ترغب.

قال ـ لا أدرى كيف يتحمل الناس الجلوس بالساعات فى قاعة مغلقة يستمعون إلى الموسيقى الكلاسيك هذه ؟!

ـ كما تتحمل أنت الجلوس بالساعات مع أصدقائك تلعبون الورق.

ـ نتسلى ونكسب. يعنى تسلية نافعة.

ـ الاستماع إلى الموسيقى تسلية نافعة.

ـ اياك أن تسألينى مرة أخرى أن أصحبك إلى حفلة موسيقية، يوم ذهبت معك كدت أختنق..

❀ ❀ ❀

ـ أين تعلمت اللغات ولم تدخلى المدارس الأجنبية؟

ـ فى الاجازات الصيفية. كان أبى يلحقنى بمعاهد اللغات. لم أمض اجازة صيفية فى مرحلة الابتدائى والثانوى عاطلة فى البيت.

ـ كان الأجدر أن تكونى فى البيت تتعلمين الطبخ.

ـ لم يرض لى أبى هذا. فالطبيخ يمكن تعلمه بالمران فى أى وقت. أما اللغات فكانت الفرصة أن اتعلمها فى الصغر.

وبـالرغم مـن أنـه كـــان معجبـا لاتقانهـا عـدة لغـات الا أنه قـال مغيظـا :

ـ أفسدك أبوك.

ـ علمنى أبى. لم يفسدنى.

ـ أفسدك وأصبحت عنيدة.

ـ جعل لى شخصية.

ـ طظ فى الشخصية.

ضحكت مغتاظة وقالت ـ وهل كنت تزوجتنى اذا لـم تكـن لى شخصية. أنت نفسك قلـت لـى قبـل الـزواج انـك معجـب بـى لأنـى مختلفة.

ـ كنت مغفل.

❀ ❀ ❀

كانت هناء تتحاشى المناقشة معه فـى أمـور كثـيرة، مهمـا كانت بسيطة. خافت أى شجار يقع بينهما وهى وحيـدة معـه فـى الاسكندرية !. بل وجدت نفسها فى تلك الأيـام القليلـة تخـاف أى جدران تضمهما. وقررت أنها بمجرد عودتها إلى القاهرة ستقول

له إنهما لا يصلحان معا والأفضل أن يذهب كل منهما لحاله، فهى لا يمكنها أن تعيش مع رجل لا تستطيع أن تتافهم معه فى أبسط الأمور ويجد فى أتفه الأشياء مجالا لمشاجرة.

وعادا إلى القاهرة وهناء مقتنعة أنهما لا يصلحان معا. فهى منذ شهور قليلة شعرت بحدسها ماذا يمكن أن تكون عليه حياتهما فى المستقبل، وازداد هذا الشعور بتعايشهما فى مكان واحد لأيام قليلة. وبدلا من الشعور بالخفة من أثر الراحة والبهجة الذى يشعر بها الفرد العائد من شاطئ البحر.

كان شعور ثقيل يجثم على قلبها ويقل حركة جسدها. ولكى يكتمل شقاؤها وجدت منزلها فى حالة غير طبيعية. أخواها الكبيران موجودان متجهمان. عمها. وقريب لأبيها لا يظهر إلا فى الكوارث العائلية.

قالت لها أمها فى برود حزين أن تدخل وتلقى نظرة على أبيها. كان معه فى الحجرة أخوها الثالث والطبيب. ولحقت بها أمها وعمها.



العالم اصبح فراغا هائلا بالرغم من ازدحامه، والصمت مطبق عليه بالرغم من ضجته، وبدلا من أن تنفذ هناء قرارها بأن تقول لحسين إنهما لا يصلحان معا، وقعت على صدره باكية. راجية أن يبحثا جديا عن شقة يعيشان فيها معا حياة طبيعية هائدة. فهى لن تستطيع الحياة فى بيتهم بعد رحيل أبيها، ولا تستطيع أن تنام من أحلامها المزعجة، شعرت أنه لم يعد لها أحد فى الدنيا سوى حسين. شعرت بانتماء شديد له.

وبدا حسين فى تلك الفترة عطوفا، محبا. حتى أنها أنبت نفسها على تفكيرها الساذج أن تتركه. وبدأ يصحبها معه فى أجواء جديدة لم ترها من قبل معه. كان كثيرا ما يذهب للسهر مع أصدقائه من رجال الأعمال وزوجاتهم، وكانت هناء لا تذهب معه من ناحية كانت تبقى فى البيت بجوار أبيها المريض، وكان حسين معتادا على الذهاب وحده إلى مثل هذه السهرات فلم يلح عليها فى الذهاب معه. وكانت تعلم أنهم يلعبون الورق فماذا تفعل وسطهم؟!. ولم تتعرف إلا على عدد قليل من أصدقائه، وصديقه المقرب "سيد" وزوجته اللذان أحبتهما.

فى تلك الفترة بعد رحيل أبيها كانت لا تحب المكـوث فـى البيت فى المساء. واستجاب حسين لرغبتها فى صحبتـه إلـى أى مكان، فأخذها معه إلى سهراتهم. مجموعة من رجـال الأعمـال، بعضهم كـانوا ضباطـا وتقـاعدوا برغبتهـم أو بـدون رغبتهـم. استقبلوها بترحاب. أخيرا ظهر حسين بزوجته. هل كـان يخـاف عليها من عيونهم ؟ . ووجدت هناء صورة أخرى لزوجها وسط أصدقائه، فهو يحرص على أن يبدو وجيها، مرحـا، ويكـون فـى أسعد حالاته عندما يكسب فى لعب الورق.

وكان الرجال ينحنون لها مبالغين فـى الـترحيب لوجودهـا أخيرا وسطهم. هؤلاء الباشوات والبهوات الجدد، أعـادوا إليهـا ذكريـات طفولتهـا، وجلسـات الباشـوات والبهـوات التـى كـانت تحضرها مع أبيها وسهرات السمر، وأعادوا لها ثقتها فى نفسـها وبترحيب الحياة بها.

فى إحـدى هـذه السـهرات، جـاء رجـل مهيبـا فـى مظهره يحمل فى يده ربطة وضعها بجانب مقعده، ومعـه زوجتـه امـرأة ملفوفة القوام متهـدل شـعرها فـى أنوثـة صـارخـة. هلـل الرجـال والنسـاء لحضورهمـا، وقـال أحدهـم أن يبطلـوا لعـب الـورق

ليمرحوا. شربوا قليلا وتناول الرجل المهيب كأسا وانتشى، وهم يحمسونه أن يبدأ المرح. تعجبت هناء، هل يمكن لمثل هذا الرجل الوقور أن يبدأ المرح وكيف؟!

لم تتأخر الإجابة على سؤالها، فسرعان ما أخرج الرجل طبلة من الربطة التى كان يحملها، وقامت زوجته، ربطت شالا تحت وسطها أحضرته لها صاحبة البيت.

وضرب الرجل بالطبلة وصفق الحاضرون على الإيقاع، ورقصت زوجته بين صيحات الرجال والنساء، وازداد اتساع عينا هناء السوداوين وهى تراقب هذا المرح، ولكزتها امرأة تحمسها على الاشتراك، فصفقت على الإيقاع معهم. وكل زوج يحمس زوجته أن تقوم لترقص لتظهر براعتها، واشتركت الزوجات فى الرقص الشرقى كأنهن فى مسابقة.

وقال أحد الرجال لحسين أن يأذن لزوجته بالرقص فقال إنها حرة إذا أرادت فعلت. ولم ترد هناء.

وعندما لا يحضر هذا الرجل المهيب وزوجته ولا يوجد مرح راقص فى السهرة يتناوب الرجال على لعب الورق وتشترك معهم بعض الزوجات. ويجلس الباقون يتحدثون أو

يشجعون اللاعبين. وكثيرا ما تشترك النساء فى أحاديث خاصة عن مشاكل البيوت والأولاد وشراء الملابس وأسعار السلع، أو بالنميمة على واحدة لا تكون وسطهن، وكانت هناء كثيرا ما تجلس صامتة بينهن ولا تجد حديثا مشتركا إلا مع بعضهن اللاتى يعملن مثلها.

كان الرجال يبدون إعجابهم بهناء، ويلومون حسين أنه قد أخفى عنهم زوجته شهورا طويلة. وكان أحدهم أثناء لعب الورق ينظر إلى وجهها ويغنى" كلنا نحب القمر.. والقمر بيحب مين".. وكانت تبتسم له. فهو يذكرها بصوت أبيها عندما كان يغنى هذه الأغنية القديمة لمحمد عبد الوهاب .. ويذكرها بأنها كانت طالع السعد للباشا الكبير عندما يسحب ورقة ويقول "على وجه هناء".. وتكون ورقة رابحة، فيقول نفس الكلمات. إنها طالع السعد.

وكان حسين يظهر اهتمامه بهناء وسطهم ويناديها "عصفورتى". "هل أنت مبسوطة يا عصفورتى؟".. "لابد أن نذهب لأن عصفورتى اليوم متعبة" .. يدللها أمامهم. ويسعد بأن هذه التى يعجب بها الرجال وينحنون لها. زوجته. ويقول

متفاخرا أنها فنانة. ترسم. وستقيم معرضا قريبا للوحاتها.. وهل رأيتم كتاب كذا.. أو رواية كذا.. الغلاف والرسوم الداخلية بريشة هناء الأنصارى .. ويقول متفاخرا أنها منتسبة للباشوات السابقين ويذكر بعض أسمائهم ويسأله أو يسألها أحد رجال الأعمال عن أشياء متعلقة بتلك الأسماء خصوصا أن بعضهم دخل فى مشاريع السوق التجارية.

فرحت هناء بهذا المجال الجديد الذى دخلته مع حسين، وبتواجدها معه فى سهراته وبتألقه فى هذه السهرات، وعاد إليها هذا العشق الغامض له، الذى شعرت به أثناء تواجده معها فى المستشفى وهى ساهرة بجوار أبيها.. وعرفها حسين على صديقته "صفاء". أول يوم ذهبت معه إليها كان موجودا فى بيتها بعض الرجال الكبار، وقد تعرف عليها أحدهم لأنه كان على صلة بأصدقاء أبيها.

ورحبت بها صفاء ترحيبا مبالغا، وقالت لها إنها ستكون اعز صديقة لها لأن حسين من أعز الناس. ووجدت هناء زوجها فى هذا المجتمع أيضا متألقا متحدثا. ولاحظت أنها الزوجة الوحيدة التى حضرت وسط هؤلاء الرجال فى بيت

صفاء. لم تسأل يومها عن السبب. ولم تتعجب أيضا لاهتمام صفاء بحسين، فقد وجدت نساء أصدقائه يهتممن به في بيوتهن.

بعد تلك الليلة كانت صفاء تصر على دعوة هناء وحسين يوما في الأسبوع للسهر عندها وأحيانا تجد هناء بعض الرجال وكثيرا ما تكون السهرة قاصرة على الثلاثة فقط.

في تلك الفترة ايضا كان حسين يصحب هناء إلى نزهات واقتنعت هناء أن ما بينهما من خلاف كان شيئا ضروريا لبداية التقاء شخصيتين متناقضتين، ثم يحدث نوع من التراضي بينهما. وهذا ما ظنت أنه قد حدث.

وبدأت تستعيد ثقتها في نفسها، وأن الحياة قد عوضتها بتعاطف حسين واهتمامه بها عن فقد أبيها. لكن فترة الوئام لم تستمر طويلا.

وعادت المشاحنات والمتناقضات بينهما عندما بدأت تسأل عن مكان صغير يجمعهما معا. فقد انتهز حسين فرصة التصاقها به وضعفها ورغبتها في ترك بيتهم لعدم احتمال الحياة فيه بعد وفاة أبيها وأعاد اقتراحه القديم بأن تعيش معه وأسرته.

حاولت هناء أن تشرح له أن اسلوبهم فى الحياة غير أسلوبها. وإذا كان يمكن التلاؤم بين اثنين فمن الصعب التلاؤم بين خمسة. وهى وإن كانت تحب الولدين اليتيمين ابنا أخيه، إلا أنها لا تتحمل ضجتهما واصدقاءهما الذين لا يخلوا البيت منهم.

أما "الجنرال" العجوز فقد تحفظت فى الكلام عنه، فهى تشعر أنه غير موافق عليها. بل أحيانا تشعر بكراهيته لها. وقد كان مثلا ظهوره فجأة أثناء مضاجعتهما فى بيت المزرعة كفيل بأن يقضى على منابع الرغبة لديها لمدة سنة. فكيف تعيش مع رجل يقتحم عليها حياتها فى أدق خصوصياتها ؟!.



أحيانا أشعر أنى ظلمت حسين بارتباطه بى، وظلمت نفسى أيضا، التى كانت تصلح له امرأة مثل صفاء. عشيقته السابقة أو المستديمة. امرأة فى مثل عمره، لها بيت لا تريد منه شيئا يضايقه، وتستغله فى تشغيل نقودها أو يستغلها. لم أرتح لها. كانت طريقة ترحيبها بى مبالغا فيها. لاحظت نظرات خاصة بينهما. يتحدثان حديثا مشتركا. فى العمل. يحدثها بتفاهم

هذا الذى لم يحدث بيننا. بدأت أشك فى علاقتهما، واشعر بالغربة بينهما.

وكان يتعمد اغاظتى بمقارنتى بها، أو يطلبنى من بيتها ويقول متعمدا أنه يتحدث من هناك. وقد أخطأت عندما أظهرت شعورى بالغيرة منها. ليس لأى شئ سوى أنه كان يتحدث معها بتفاهم ويأخذ برأيها، هذا الذى لم يفعله معى. وأشعر بينهما أننى طفلة لا تفهم شيئا، وربما كانا يتعمدان معاملتى كطفلة ويزيد غيظى منهما. تمكن منى الشك عندما أظهرت فرحتها لشقة ستخلو فى العمارة التى تسكنها. وأنها ستفعل المستحيل لنحصل عليها ونكون جيرانها. طلبت صديقه المقرب "سيد" وقلت له عن هذه المرأة وأنها تريد أن نسكن فى عمارتها واننى أشك فى علاقتها بحسين. وطلبت منه النصيحة.

أخبرنى "سيد" أن صفاء عشيقة حسين لسنين طويلة، وتساءل كيف يسمح لنفسه أن يجمعنى بها فى منزل واحد. ونصحنى أن أتصرف بما أشعر به. واجهت حسين بما علمته. وإذا كانت هذه الشقة الوحيدة الخالية فى القاهرة لن أسكنها. قال كلمات جارحة كثيرة. رددتها له فى ثورة. غضب وخاصمنى.

دعانا سيد ليصلح ما بيننا، وذهبت قبل الموعد لاعتذر له أننى قلت لحسين أنه هو الذى أخبرنى بعلاقته بصفاء. فقال إن هذا لم يزعجه، وكان لابد أن أعرف، وأنه قد نصحه بعد الزواج أن يقطع علاقته بها لأنها ليست امرأة طيبة، وفوجئ بما أخبرته. وقال لى ألا أفزع من بخل حسين فهو حريص أكثر من اللازم على أمواله لأنه يعمل فى السوق ورأس المال جبان. ولم أفهم. وجاء حسين متجهما خيل الى أنه يريد أن يحملنى ويلقينى من النافذة، فجلست متحفزة للدفاع عن نفسى.

أوضحت له زوجة سيد مطالبى البسيطة، فأنا لم أطلب المستحيل بل شيئا عاديا وطبيعيا. أن يكون لى بيت. وهل الذى يحب انسانة ويتزوجها يرفض أن يقدم لها شيئا فى استطاعته؟! فقلت موجهة الكلام لحسين إنه إذا كان أبى ترك لى ثروة لكنت أجرت شقة وأثثتها، فأنا أؤمن أن الذى يملك المال من الزوجين عليه أن يبدأ، وبطبيعة الحال الآخر سيساعد فيما بعد.

قال سيد موجها الكلام لى. أن أبى ترك ثروته فى أبنائه. فهو علمنا وجعلنا نعيش بكرامة. وأنا لم أنكر هذا، ولا ألوم الرجل الراحل بل أشكره على ما فعله فى حياته من أجلنا. ولا

أدرى إذا كان حسين خجل أو اغتاظ من كلامنا. أم انه تذكـر أن أبى لم يترك لى ثروة فقال بلا مبالاة، أنه ليس متعبـا فـى حياتـه هذه، فله بيت يرتـاح فيـه ونـاس تخدمـه، ولا يحتـاج لشـئ. وإذا كنت رفضت عروضـه فـى السكن فعلى أن أنتظر إلـى أن يجـد شقة. وقالـت زوجة سيد إن بيت الأهل شئ والبيت الذى يصنعـه الزوجـان شئ آخر .. فقال حسين وإذا كـان الـزوج لا يستطيـع أن يعمل بيت ؟ تبادلنا النظرات، انصت إليه بشئ مـن السـخرية والتكذيـب. وسـألته. ولمـاذا كـان سيستطيـع عملـه فـى عمـارة صفاء؟!

قال بنفس اللامبالاة إنه صاحب المال ويضعه فـى المكـان الذى يريده. شعرت بإهانة .. وأخذتنى زوجة سـيد إلـى المطبـخ لنعد العشـاء، نصحتنـى أن "ألطـف الجـو معـه" حتـى يفيـق مـن عناده، فهو بلاشك قد غضب لاكتشافى حكاية صفـاء واننـا كلنـا قد احرجنـاه، وأكـدت لـى حبـه فهـو إذا كـان لا يحبنـى مـا تقـدم للزواج منى، وكان من الممكن أن يتزوج صفاء.

فـى الأيـام التاليـة حـاولت التقرب إليـه لنتصـافى. التجهـم يواجهنى به والجمود. لو كنت التصقت بحائط، بكل ما تختلج به

نفسى لشعرت بدفء الحائط ومشاركته لى مشاعرى، صعبت على نفسى. كنت لا اريد كلمة شكر على طعام قدمته. فقط كنت أريده أن يربت على كتفى. أن ينوى التقارب والمسامحة كما نويتهما. فقط لمسة حنان كان يمكنها أن تزيل متاعبى. تريح عينى من دموع وحدتى وحيرتى. ظننت أنه سيعوضنى عن فقد حب وحنان أبى. لكن تعبير العاطفة بمفهومه تعبير مادى. أن أقدم له خدمات وإن كانت فوق طاقة احتمالى. وعلى حساب أعصابى. بالخدمات المادية يمكن أن يبادلنى عواطفى. لم أفكر يوما أثناء ذلك التعب فى اقناعه بالزواج إننا من الصعب أن نلتقى طريقة حياته غير طريقة حياتى. كل يعيش حياته بلا مشاركة حقيقية من الآخر. نوع العمل. نوع الصحبة. لم أجد من أصدقائه أحدا قريبا منى سوى سيد وزوجته.

بدأت أضيق بسهرات أصدقائه وأحاديث زوجاتهم. ذهب انبهارى بالجو الجديد. ربما كنت فرحة به لأنه أخرجنى من احزانى. وربما لأن الجديد بعد فترة يصبح بتكراره مملا ومزعجا. وربما لأن ضيقى من طريقة حسين فى معاملتى جعلنى أضيق بهم.

لم أعد أفرح بتدليله لى أمامهم، وحديثه الرقيق معى وسطهم. أنظر إليه متسائلة وأحيانا غاضبة. أكاد أقول لهم لا تصدقوا معاملته لى أمامكم. وأتساءل لماذا لا يعاملنى بهذا الاهتمام والتدليل ونحن وحدنا مادام يستطيع هذا ؟! لماذا لا يتزين ويتعطر لى .. لماذ لم يبد لى اهتماما برسوماتى هذه التى يفخر بها أمامهم ؟! كثيرا ما كان يجدنى وأنا أرسم غلافا لكتاب ويبدى نقدا محبطا، خصوصا عندما يرى خطوطا تجريدية لبعض رسوماتى، ويقول ما أفعله شخبطة وليس فنا. ويمسك برواية أو عمل أدبى ويقول إن هذه الكتب تفسد تفكيرى. أما الكتب العملية فكان يقلب صفحاتها ويبدى سخريته من عقليتى، فكيف أرسم كتابا لا أفهم محتوياته .. أصبحت أخفى رسوماتى عنه وأغلق على المكتب، وأصبح يرى الكتب التى أرسم أغلفتها معروضة فى السوق ويتباهى أمام أصدقائه أننى التى رسمتها !! لهذه الدرجة يهتم بالمظهر امام الناس ؟! ربما أصبحت أضيق بسهرات أصدقائه لضيقى من زيف الحياة. وبهذه الكذبة التى يظهر بها حسين لهم فهل كل هؤلاء الرجال يعاملون زوجاتهم بالمثل ؟ بدأت اسأل الزوجات بطرق غير مباشرة.

ووجدت سؤالى تافها أمام اجاباتهن. "المهم أن يعاملك الزوج أمام الناس بحب وتفاهم. هذا يعزز صورتك ومركزك. أما ما بينكما من خلاف وشجار وحتى نفور، فهذه اشياء ثانوية لا يجب أن تلتفت الزوجة لها. المهم أن يكون لها رجل وبيت ومكانة فى المجتمع أما إذا أرادت التعادل فى المعاملة أمام الناس وبينها وبين زوجها فهى تبحث عن خراب عشها". قلت لهن حقيقة ما يقع بين الزوجين من شجار أو خلاف لابد أن يكون بعيدا عن الناس، لكن لماذا لا تكون المعاملة بينهما رقيقة متفاهمة وهما وحدهما كما هى أمام الناس ؟ ضحكن من أفكارى ونصحتنى واحدة ألا التفت لمثل هذه التفاهات. لم تعجبنى نصيحتها ولا كلامهن. فالمعاملة بين الزوجين ليست من التفاهات. كيف يفكرن هؤلاء النساء ؟ لأكون فى رأى مخطئة الذى هو عكس رأيهن. لكن هذا شعورى وليس شعورهن.

أحيانا وأنا جالسة صامتة فى هذه السهرات .. أنظر إلى الرجال المجتمعين ويخيل إلى أن ملامح وجوهم متشابهة. فهل تضفى عليهم مهنتهم صفات معينة. أم حديثهم وطريقة تفكيرهم واحدة فيبدون لعينى متشابهين !! لا أدرى لماذا لا يغار حسين

منهم ويؤثث له بيتا مثلهم. كما يغار عندما يكسب أحدهم أكثر منه حتى فى لعب الورق؟ لقد أصبح العالم كله على حق وأنا دائما المخطئة، هذا هو تعبيره عن أى مشاعر أقولها أو رأى أبديه تجاه كلمة أو تصرف لا يعجبنى من أصدقائه وزوجاتهم. ويقفز صوته فى وجهى بكل تعبيرات الاتهام والكراهية.

لنتحدث بهدوء يا حسين. لأقول ما أعانية منك وتقول ما تعانيه منى. نعم لقد خيبت امالك. أنت أيضا خيبت آمالى. لكن. لنر الصواب والخطأ. ونبدأ من نقطة نلتقى عندها. أم لم تعد بيننا نقطة التقاء ؟ لنوجدها. لا تقف بعناد الصبية عاقدا حاجبيك. عاقدا ذراعيك على صدرك. ترفض التفاهم. جئت افتح ذراعى. أفتح قلبى. أفتح شفتى لنتحدثا. ربما تنحل عقدة لسانى وأقول ما يعتلج فى نفسى. هل تصغى إلى ؟ لا أدرى من أين أبدأ .. أصبحت أخاف الكلمات. التصرفات. حتى أصبحت أخاف الحياة معك.. هل تصدق ؟! وبدلا من تلبية رغبتى فى التقارب. قفز صوته فى وجهى وقال إنه لن يتحدث معى، فلن أفهم كلماته لأنى غبية .. قلت ساهمة واليأس يعتصر قلبى... نعم أنا غبية، وكدت أقول له لأنى أصريت عليك، ولأنى مازلت

مستمرة. يانفسى لا تجزعى. لا تخافى. لا تفقدى أمانك حتى تستطيعى التغلب على هذا التخاذل.

❀ ❀ ❀

إذا كانت الظروف التعسة قد أحاطت بهناء منذ أطل حسين عليها من خلف صديقة جارهم الذى ذهبت تستنجد به لينقذ أبيها فتعلقت به وتزوجته بشعور التى تبحث عن حماية وليس مشاركة، وإذا كانت هذه الظروف طالت فى وقتها وزادت من سخافاتها، فكان لابد من صحوة تعيد للعقول تفكيرها السليم. وتزيل الغشاوة من فوق عيون أصحابها، وتحطم سيطرة الخوف الذى يحيط الفرد بسياج من الكآبة والجبن.

والصحوة تأتى أحيانا للإنسان مثل الصدمة. وأحيانا تأتيه فى جرعات مثل جرعات الدواء المر الذى يشفى المريض بالتدريج بعد فترة .. وكانت صحوة هناء من النوع الثانى. جرعات الدواء المر شربتها على مدى سبع سنوات، وكانت الظروف الصعبة والتعسة أحيانا كثيرة تحيطها، فجعلت مفعول الصحوة يتأخر. إذا كان مرض أبيها أخافها، فرحيله أفزعها، ثم جاءت اعارة لأخيها المدرس فى الجامعة والذى يعيش معها

وأمها فى البيت ليعمل فى جامعة أسيوط. فكان يأتى فى نهاية كل أسبوع أو أسبوعين ليمضى معهما يوما. وكانت أمها بعد رحيل الأب كثيرة الأمراض.

فى ذلك الوقت كان حسين قد اشترى شقة تمليك فى عمارة لم ترتفع بعد. وشعرت هناء ببعض الراحة والفرحة لأنها أخيرا ستجد مكانا يجمعها مع زوجها، وستنتهى مشاكلهما وستنجب له طفلا. فقد قال لها حسين عندما بدأت علاقتهما إنها إذا أرادات طفلا فعليه أن يجرى عملية جراحية، وأنه يفضل ألا ينجبا الا بعد أن يستقرا فى شقة مادامت هى تريد أن يعيشا وحدهما.

ولما جاءت الإعارة لأخيها. سألت حسين أن يمكث معها وأمها إلى أن تنتهى شقتها، وأن يقوم باجراء العملية لتنجب طفلا ويكون فى رعاية أمها إلى أن ينتقلوا إلى الشقة .. واعتقدت أنه سيرحب بالفكرة التى قالها يوما. لكنها فوجئت بسخرية منها. فإذا كانت هى لم تطع أوامره ورغبته فى أن تعيش مع أسرته أو يعيش مع اسرتها، فهل تظن أنه يمكن أن

يلبى رغبتها، أو تفرض عليه ارادتها؟! لم تستطع أن تشرح .. ولم يشأ أن يفهم وقرر السفر إلى جولة عمل فى أوروبا.

لقد وعدها حسين يوما بالسفر معه فى رحلة إلى أوروبا، وهاهو الوقت قد جاء لينفذ وعده. وقطعا رحلة كهذه ستقوم بعمل السحر الجيد فى نفسية هناء وصحتها وعواطفها. ذكرته بوعده، وأنها ستدفع ثمن تذكرة سفرها معه. لكن هناء لم تلب طلبه فى الحياة كما أراد. وأبوه واصدقاؤه ومعارفه حكموا عليه بعدم الرجولة لأنه لم يعرف كيف يحكم زوجته، ثم يرونه يصحبها معه إلى أوروبا؟! وأقسم قسما بذيئا أنه لن يفعل. وقرر السفر وحده ليرد اعتباره لنفسه!!

فى أوقات كثيرة خلال مناقشات مثل مناقشة البقاء معها فى بيت أمها إلى أن تنتهى شقتهما. أو السفر إلى أوروبا، تتنازع هناء رغبتان قويتان متناقضتان فى الضحك والبكاء.



كانت هناء تساهم فى البحث عن شقة بقراءة الاعلانات المبوبة فى الجريدة الصباحية .. أحيانا تطلب الرقم المكتوب وتسأل عن مواصفات الشقة وشروط الإيجار، وأحيانا تسأل

حسين أن يذهبا معا ويشاهداها، وكثيرا ما كان يرفض الذهاب، فتذهب هى وتخبره بما شاهدت، وأحيانا يذهب هو ويخبرها بما شاهد. لكنهما لم يجدا ما يوافقا عليه معا. أو على الأصح ما يوافق عليه حسين لأنه صاحب المال.

عنيدان تقابلا، وارتبطا. كل منهما يريد أن يفرض نوع حياته على الآخر. كل منهما وصل إلى مرحلة من العمر كون فيها شخصيته وعاداته. كل منهما حاول أن يرضى الآخر بمنطقه الذى لا يقبله الاخر. كل منهما فكر لحظة أنه لا يصلح مع الآخر. كل منهما خاف الحياة مع الاخر. وربما لذلك اختارا مكانا على خريطة لم يصعد بناؤه ليؤجلا.

ولم تتوقف هناء عن قراءة اعلانات الشقق الخالية.. أصبحت هوايتها كل صباح أن تقرأها بعد أن تتصفح الجريدة. وعندما أوشك الدور الثالث فى العمارة أن ينتهى، هذا الذى سيسكنا فيه، وجدت إعلانا عن شقة مفروشة فى هذه العمارة وتعجبت عن طمع الناس، فالبناء لم يكتمل بعد، وكل دور ينتهى يهرع إليه سكانه، فلماذا يؤجرون شققهم مفروشة؟ ثم قرأت رقم

التليفون للاتصال بصاحب الشقة. ولم تصدق عيناها. فهو رقم تليفون منزل حسين مع والده. متى أثث الشقة؟!

لقد كان يؤجل شراء الأثاث إلى أن تنتهى الشقة تماما وهى كانت معه منذ أسبوع هناك للاشراف على التشطيبات الأخيرة، وقالت بعض الملاحظات لينفذها العمال فى الحمام والمطبخ. أدارت أرقام التليفون.. رد عليها حسين. قالت له إنها تريد أن ترى الشقة المفروشة لتؤجرها.. عرف صوتها وضحك.

"ما هذا الذى تفعله يا حسين؟!"

"سأحضر فى المساء وأفهمك كل شئ".



"كانت المراراة فى حلقى، وهو يسألنى والكراهية فى صوته. ألا أعلم معنى هذه الأرقام؟! الا أعلم معنى أن يخسر فى صفقة الوف الجنيهات ؟! ألا أنتظر قليلا إلى أن يعوض خسارته بتأجير الشقة مفروشة ؟! أنا أعرف معنى واحدا وهو أن هذه الألوف سببا فى تعاستى. ست

سنوات وأنا أنتظر. أفعل ما تريد فى شقتك. أجرها. بيعها. أحرقها. لم أعد متمسكة بأى شئ. ولا أى مكان فلا تتعسنى. تعجبت من صرخاتى، كأنها صوت آخر ليس صوتى. صوت يخرج من أعماق محيط من الضيق، وكنت على يقين أن لديه من رصيده فى البنك ما يزيد عن خسارته، وأنه كان يمكن أن يدفع لصاحب العمارة الزيادة التى طلبها بدون أن يؤجر شقته مفروشة".

❀ ❀ ❀

أمام ثورة غضبها، يحاول أن يسترضيها. يدعوها إلى السينما أو المسرح أو العشاء فى مطعم فى الاماكن التى تحبها. وإذا كانت ثورة غضبها قوية فهو يدعو معها صديقه سيد وزوجته لارتياحها معهما .. يرسل لها زهورا. أو يشترى لها أدوات رسم ويسألها أن ترسم لوحة جميلة ليعلقها فى بيتهما. أو يصحبها فى نزهة إلى عزبة أحد أصدقائه أو إلى مزرعته يوم اجازتها الأسبوعية.

ويكون حنونا محبا. وأحيانا يحضر لها هدية صغيرة. مثل هذه الأشياء البسيطة كانت تفرحها وتجعلها تعتقد أن حسين

يحبها لكنه عصبى المزاج وعليها أن تتحمله. وتمر الأزمة لتنشأ غيرها، حتى أصبحت تشك فى هذه اللحظات العطوفة المحبة التى ينعم عليها بها فهى وقتية وليست حقيقية. ليصالحها بعد غضب وتكون هى على حق. أو عندما سيقابل أجانب لشئون العمل ويريدها معه.

لكنها بعد ثورة غضبها الأخيرة على تأجيره الشقة مفروشة التى انتظرتها ثلاث سنوات وقبلها ثلاث سنوات فى مهاترات كلام وبحث وانتظار .. فى ذلك اليوم شعرت هناء بحدس قوى أنها لن تسكن هذه الشقة. وأنها ليست على مستوى ألاعيبه. وتقبلت محاولاته لارضائها ومصالحتها بلا مبالاة، نابعة من اليأس وليس الاستهتار. فهذا الواقع الذى عاشته ست سنوات ولم تتوافق معه لن يتغير، وهى لن تستطيع أن تغيره. وهذا الرجل بطبائعه التى لا تريحها لن يتغير. وقال لها صديقه سيد إنها انتظرت ست سنوات فلا يضيرها أن تنتظر عاما آخر إلى أن ينتهى عقد إيجار الشقة وتذهب إليها ولن يكون لحسين أى حجة أخرى. لم تقتنع. ولم تعد تتحدث فى هذا الموضوع. أو تشكو. أو تثور. أو تهتم بالتفاهات التى يتشاجر بسببها، أصبح

فى رأسها هدف واحد لكنها لم تعرف كيف تعبر عنه. ربما من بقايا خوف فى نفسها. ربما كانت تعد نفسها بعلاج أعصابها المتوترة لتكون هائدة نفسيا. قوية صحيا. فمثل هذه المواجهة التى تعد لها أمام شخص مثل حسين لابد أن تكون قوية من جميع النواحى.

اشتركت فى رحلة سياحية، لم تستطع اقناع واحدة من صديقاتها بالذهاب معها فذهبت وحدها فى صيف العام الماضى إلى جزيرة قبرص. لم يعارض حسين فى سفرها وحدها، وهى لم تسأله أن يسافر معها، كما كانت تعتقد من زمن لتجديد عواطفهما معا، وعلى أى حال فهو قد سافر إلى أوروبا بدونها.

لم تسافر هناء وحدها مثلا لتفكر بهدوء فى إعادة النظر فى قرارها، كانت تريد أن تستمد قوة نفسية وجسدية من تجربة السفر وحدها. كانت طوال هذا العام مثل الذى سيدخل مباراة رياضية صعبة وطويلة المدى يترتب عليها مستقبله، فيحافظ على صحة جسده وصحة نفسه حتى يواجه غريمه وهو فى أتم قوته.

كانت هناء خلال هذا العام تتفرج على حسين، وتصرفاته وأهله. وأصدقائه دون أن تندمج أو تكون جزءا من موضوع. وإذا كان يذهب أحيانا للمبيت معها وأمها أثناء سفر أخيها. إلا أنها لم تعد تهتم، وكثيرا ما كانت تترك له فراشها وتنام فى حجرة أخيها.

وزال تماما من نفسها شعور الانتماء إليه. لقد بدأت تشعر بعدم انتمائها إليه خلال السنوات الأخيرة، ولا تصدق شعورها، وتظن أنها عندما تعيش معه فى بيت واحد سيتجدد هذا الشعور بالانتماء ويعود قويا كما كان، لكنها وبدون أن تدرى كان يتعمق إنفصالها النفسى عنه، وربما يدلل على هذا حادثة بسيطة.

كانت هناء تجلس فى "كافيتريا" فندق كبير تنتظر زوجة سيد، ولما وجدت الأخيرة أنها ستتأخر عن موعدها لظرف طارئ فقد طلبت الفندق لتحدثها حتى لا تقلق. ودخل العامل الصغير إلى "الكافيتريا" يحمل لوحة مكتوب عليها اسم "مدام عبد العال" وينادى عليها. وقد نظرت هناء إلى اللوحة وسمعت الاسم، لكنها لم تدرك أنها هى المطلوبة للتليفون. وعندما جاءت زوجة سيد ولم تجدها طلبتها فى منزلها وسألتها لماذا لم تذهب

إلى موعدهما؟ فقالت لها هناء إنها هى التى لم تذهب. وقد انتظرتها طويلا. وقالت زوجة سيد إنها طلبتها فى "الكافيتريا" ونادوا عليها ثم قالوا إنها غير موجودة. ولما علمت هناء أن صديقتها طلبتها باسم "مدام عبد العال" ضحكت. وقالت إنها لم تدرك أنها هى المطلوبة، ربما يومها فقط تنبهت هناء أن شعورها بعدم الانتماء إلى حسين حقيقة. وفى هذا العام الأخير اصبح مؤكدا.

وقد تعجب حسين من هدوئها ولامبالاتها، فكان أحيانا يحاول أن يثير غيرتها ويطلبها فى التليفون ويقول لها إنه يتحدث من بيت صفاء فتسأله عن صحتها وحالها. بل أمعنت فى اغاظته يوما وطلبت أن تتحدث معها وفرحت صفاء بعودة الوفاق مع هناء وبالغت فى الترحيب بصوتها، وأخبرتها أنها ستسافر إلى ابنها فى أمريكا وألحت عليها أن تطلب منها شيئا تحضره لها من هناك. وشكرتها هناء فهى لا تريد أى شئ.

خلال هذا العام اهتمت هناء بعملها كما كانت قبل الزواج لقد كانت فى السنوات الأخيرة تنفذ رسومات أغلفة الكتب بخطوط عادية وأحيانا مستهلكة. أصبحت تفكر فى خطوط

جديدة وتبتكر، حتى لفتت انظار مؤلفى الكتب والروايات، وأصبح الكثيرون يشترطون أن تنفذ هناء رسومات كتبهم ويتعرفون عليها. وتتحدث معهم لتعرف أكثر تصوراتهم. جاء الوقت لتأخذ مكانتها فى العمل، لقد تعبت كثيرا فى سجن وحدتها المنفرد وجاء الوقت لتخرج من هذا السجن وتلتقى بوجوه جديدة.

واهتمت أكثر بثقافتها الفنية. بدأت تزور بانتظام المعارض الفنية وتتعرف على فنانين وفنانات. وتذهب لمقابلتهم كل أسبوع فى ناديهم الفنى، تتعرف على افكار جديدة وعقليات جديدة تستمع لما يدور فيها، وإن كانت لم تبدأ جديا فى العمل الذى تريد أن تقوم به كأنها تعد نفسها أيضاً بشحنة فنية.

خلال هذا العام، لم تمارس العلاقة الحميمة مع حسين، ولم تشعر برغبة حميمة تجاهه وتبتعد عنه إذا أبدا رغبته، وتعتذر بحجج كثيرة، وما أكثر الحجج التى تجدها امرأة غير راغبة. انفصلت عنه جسديا كما انفصلت عنه من قبل نفسيا. لقد حدث الانفصال فعلا بينهما. فلماذا تبقى ؟! وهذا ما ستعلنه له فى المساء.



كانت الساعة تدق التاسعة فى قلب هناء. وهى تدخل إلى مكان موعدها. بردائها الأحمر و"الكاب" الأسود فوق كتفيها. يصل إلى ساقيها، ومكياج الوجه المتقن تهادت بخطواتها، بحذائها ذى الكعب المرتفع كأميرة تبحث عن فارس أحلامها.!!.

دارت عيناها فى المكان خلال الأضواء الخافتة، وكل منضدة فوقها شمعة تنتظر من يضيئها. انحنى الرجل وهو يحييها ويسأل كم مقعدا تريد. اثنان .. ابتسم وهو يقودها إلى منضدة صغيرة فى ركن ناء وابتسمت لابتسامته المرحبة بموعد الحب، وكادت أن تضحك. سحب لها المقعد لتجلس وأخذ الكاب من فوق كتفيها، وضعه فوق ظهر مقعدها.

اضاء الشمعة، وكان انعكاس ضوئها على وجه هناء مع انعكاس لون فستانها الأحمر كفيلين بأن يجعلا الرجل ينحنى لنضج هذا الجمال، وهو يسألها هل تطلب شيئا. أم ستنتظر. قالت إنها ستنتظر.

دارت عيناها مرة أخرى فى المكان، تنهدت براحة، فهى فى مثل هذه الأماكن الفخمة تشعر براحة وثقة، وهى فى حاجة إلى هذين الشعورين الليلة. وقد ارتدت فستانها الاحمر لنفس

الشعور، غيرت رداءها الأسود الذى كانت ترتديه فى الصباح حتى لا يظن حسين أنها حزينة لقرارها. عندما عادت إلى المنزل وقت العصر وجدت العائلة مجتمعة حول الأم كعادتهم فى يوم الاجازة، وسألتها زوجة أخيها الاكبر لماذا ترتدى السواد. فردت عليها بلا اهتمام، انها كانت تؤدى واجب عزاء. وتنبهت لحظتها ألا تبقى بالرداء الأسود، واختارت اللون النارى لشعور الثقة والبهجة.

نظرت هناء إلى ساعتها، ولم تقلق لتأخير حسين. أحيانا يكون فى طريقه إلى موعد ويتذكر شيئا يريد أن يقوله لصديق عمل فيمر عليه، وربما أثناء حديثه فى العمل أو أى شئ ينسى نفسه. ثم يتذكر فجأة موعده، كانت من زمن تقلق لتأخيره ثم أصبحت تضجر، ثم أصبحت لا تبالى. أما الآن فهى متأكدة من حضوره مهما تأخر. ليس لذكرى يوم زواجهما، فقد شعرت بقلقه فى الصباح عندما قالت له بجدية أنها تريد أن تتحدث معه. كم من المرات فى مثل هذا اليوم أجهض فرحتها، عندما كانت تقول هل فى الصباح فرحة. ألا تذكر يوم؟..

ويقول بلا مبالاة إنه يتذكر. فتنكمش فرحتها قليلا وهى تسأل .. ألا نحتفل .. وتدفن فرحتها فى المساء عندما لا يحضر. اما اليوم فقد فهم منذ الصباح أنها لا تريد أن تحتفل ولم تقل له كل سنة وأنت طيب، ولم تقبله كما أراد. فلابد أن يحضر.

بعد نصف ساعة جاء حسين، اعتذر لها عن تأخره غير المتعمد، وحكى لها عن رحلة عودتهم من المزرعة والمطر المنهمر، ومساحات زجاج السيارة المتعطلة، وغضب الجنرال الذى كان يريد أن يبيت فى المزرعة، لكنه تحمل مخاطرة الطريق فى هذه الظروف من أجل عينيها.. وأنهم وصلوا متأخرين، وكان متعبا، حتى أنه لم يتناول طعام الغداء ونام قليلا، وكان لابد أن يأخذ حماما ويغير كل ملابسه ليقابلها كما تحب أن تراه، نظيفا متألقا.

ابتسمت هناء ابتسامة هادئة. ساخرة .. هذه بداية طريقته فى الحديث عندما يريد ارضاءها. جاء الرجل، وانحنى وهو يسألهما ماذا يريدان للعشاء. كتب طلباتهما، طلب حسين كاسا من الويسكى ليريح أعصابه من رحلة العودة الصعبة. وسألها

ماذا فعلت طوال يوم اجازتها. نظرت إليه متعجبة، وانفجرت شفتاها بنفس الابتسامة، منذ سنوات طويلة لم يسألها هذا السؤال.. لم تجبه، ونظرت إلى عازف البيانو الذى بدأ يعزف ألحانا من أغانى أجنبية وعربية.

بعد أن تناولا طعام العشاء، أسند حسين ظهره على المقعد.

قال – ماذا تريدين أن تقولى .. وأنت الليلة على هذه الصورة من الجمال؟

بصوت هادئ قالت هناء.

- لا يوجد أمل فى حياتنا معا يا حسين. ولا جدوى من محاولاتى لارضائك، ومحاولاتك لارضائى. ولا يوجد داع لتعذيب نفسينا فى علاقة غير متفاهمة. الأفضل لنا أن ننفصل.

نظر إليها، وضوء الشمعة بينهما ينعكس على وجهها فيزيده جمالا وغموضا، مثل "بورتريه" رسمه أحد الفنانين المغمورين فى القرن الثامن عشر، ولم يكتشفوا جماله وقيمته الفنية إلا فى القرن العشرين!. فهل تعمدت هناء ابراز جمالها

بطريقة ماكياج وجهها ولون ردائها. أم هذا حدث بدون تعمد وبالهام الهى، ليعرف هذا الرجل أن ما كان بيده يضيع منه لعدم حرصه عليه؟!

صمت حسين لحظة وهو يتأمل وجه هناء ويتعجب لهذا الهدوء الذى تتحدث به. لقد تخيل يوما بعد مشاجرة بينهما أنها تصرخ بهذا الطلب الذى تطلبه الآن، واختفى يومين حتى يبتعد عن مخاوفه وحتى تهدأ ثورة غضبها.

قال - تطلبين الطلاق يا هناء فى عيد زواجنا؟!. وأنا حضرت ومعى لك هدية .. انتهاء عقد إيجار الشقة.. جئت لأقول لك سنذهب إليها بعد أن تقومى ببعض التعديلات التى تريدينها.

ابتسمت هناء هذه الابتسامة الهادئة الساخرة.

قالت ـــ لا يوجد أمان معك. ربما أجد نفسى يوما فى الطريق مطرودة من شقتى لأنك فى أزمة مفتعلة وتريد تأجيرها مفروشة.. وعلى أى حال العقد الذى فى جيبك الآن لتأجير الشقة مدة أخرى. لا داعى أن أخبرك كيف عرفت.

فهذه ليست المشكلة.

شعر حسين بشئ من الاضطراب وأخفى دهشته بابتسـامة ثم قال :

ـ ما هى المشكلة ؟ .. أليس موضوع السكن هو المشكلة التى افتعلتيها منذ زواجنا؟

ـ لم أفتعل مشاكل يا حسين، والآن موضـوع السكن ليس المشكلة. المشكلة فيما بيننا. علاقتنا معا.

ـ يوجد رجل آخر فى حياتك ؟

ـ لا ..

ـ طبعا ستقولين لا .. وأنا أنصحك أن تتريثى، ربمـا بعد الطلاق يرفض أن يتزوجك. أنـا أدرى منـك بنذالـة مثل هـؤلاء الرجال الجبناء الذين يخطفون الزوجات من ازواجهم.

ـ حسين .. لا يوجد رجل آخر فى حياتى. أقسم لـك. قـال بتهكم ـ لا يمكن أن ترفض الزوجة العلاقة مع زوجها لمدة عـام وأكثر، ولا يكون لها عشيق. تذكرى هذا أم لا تذكرين؟!

ابتسمت هناء. لم تفاجأ بكلامه، ولم تنفعل بالغضب، فقد أعدت نفسها لكل الاحتمالات. انها تذكر كل شئ. المرأة تذكر أول مرة تمارس الحب مع الرجل بنفس الوضوح والتفاصيل الدقيقة التى تتذكر بها آخر مرة.

❀ ❀ ❀

كان يوما من هذه الأيام النادرة التى كان فيها حسين لطيفا، سألها فى الصباح أين تريد أن تقضى يوم اجازتها. قالت فرحة فى الهواء الطلق. صحبها إلى المزرعة.. كانا بمفردهما.. اطمأن على الأشياء التى أراد الاطمئنان عليها، وطلب من حارس البيت أن يملأ سلة بالبيض، واختار ست دجاجات وأمره أن يذبحها وينظفها. عند الظهيرة عادا من المزرعة. كانت هناء منتشية بهواء الخريف اللطيف وبحديث حسين اللطيف، وعندما توقف بسيارته أمام منزلها، قالت إنها ترجو أن يتناولا طعام الغذاء فى مكان مفتوح، قبل أن يأتى الشتاء، ولم يعارض حسين نزل من سيارته، ونادى البواب، أعطاه سلة البيض والدجاج ليوصلهم إلى شقة هناء. وكان هذا التصرف النادر منه جديرا بلفت نظرها إلى تعاطفه فى ذلك اليوم.

ذهبا إلى مطعم فى حديقة. وبعدها ذهبا إلــى بيـت صديقـه سيد. تناولا معه وزوجته القهوة، وفرح الزوجان بهذين الضيفين العزيزين وهما فى حالة سعادة نادرة. بعـد الغـروب نـزلا. كـان المحل الجديد الذى افتتح أخيرا فى العمارة التى يسكنها صديقـه يعرض ملابس للشتاء. وقفا يتفرجان عليها. وقال حسين مشـيرا إلى "بلوزة" زرقاء فى لون السماء الصافية، أن هذه البلوزة تليق بها، وإذا كان على مقاسها سيشتريها لها.

دخلت هناء إلــى المحـل. ثـم أطلـت مـن البـاب وقـالت لـه يوجد مقاسها، فدخل المحل ودفع ثمنها ذهبا إلـى منزلهـا. كـانت أمها تجلس فى حجرة المعيشة تشـاهد التليفزيـون. سـلما عليهـا، وتبادل حسين معها حديثا قصيرا. شكرته على ما أرسله، وسألته لماذا لم يحضرا للغداء مع بقية الاسرة كعادتهم فى يوم الاجازة. قال حسين إن هناء كانت تريد أن تمضى اليوم فى الهواء الطلق وهو يجب أن ينفذ طلباتها. فابتسمت له الأم شاكرة.

كــانت هنــاء منتشــية بــاليوم ومحبــة حســين وتعاطفــه. قبلتــه فــى حجرتهــا، وبمداعبتهــا لــه عـــبرت عـــن رغبتهـــا واكتملـت نشـوة يومهمـا معـا.

قال حسين وهو يتمطى بجوارها فى الفراش.. "كنت رائعة" .. ابتسمت قبلته. وضعت رأسها فوق صدره.

قال - سأرشيك دائما بملابس وطعام حتى تكونى رائعة كاليوم. لماذا لم أفكر فى رشوتك من قبل؟

انتفضت هناء من فوق صدره. من الفراش. خطفت ملابسها وجرت إلى الحمام. تجمعت الدموع فى عينيها وتوقفت هناك بشعور من الغيظ والغضب. لماذا لا يفكر أن معاملته اللطيفة طول اليوم أثارت عواطفها ورغبتها؟! وهل إذا أهداها شيئا يعنى أن العواطف تقبل الرشوة. هل الرغبة الصادقة تقبل الرشوة؟..

مومس هى؟ .. كلمات قاسية .. ومثل حكمة الهند القديمة .. الكلام إذا انغرس فى القلب لا يخرج منه، ولا يرجى للقلب شفاء.



قالت هناء - هل تذكر ذلك اليوم .. وهل بعد ما قلته لى فى الفراش تبقى لدى رغبة تجاهك .. كانت هذه آخر مرة أبدى فيها رغبتى.

تجهم حسين ثم ابتسم.

وقال ـ أذكر أنك قلت لى إن العواطف لا تقبل رشوة وقلت لك إنى أهزر معك..

ـ وقلت لك مزاح سخيف، وفى مكان غير مناسب، وربما لو كان مزاحك هذا بعدها بيوم ما كنت حزنت وكنت رددت عليك بنفس طريقتك. وعلى أى حال كانت رشوتك هذه ومعاملتك الطيبة تمهيدا لتأجير الشقة مفروشة .. فبعدها بيومين قرأت الاعلان ..و..

صمتت هناء حتى لا تسترسل فى حديث عتاب لا جدوى منه.

قال ـ هذه حجة سخيفة اقنعت بها نفسك حتى لا تلبين رغبتى ..

ـ لتكن.

صمت قليلا ثم قال : ما رأيك فى السفر معى إلى أوروبا.. سأؤجل سفرى إلى أول الصيف ليكون الجو هناك محتملا.

ابتمست هناء.

- أهذه رشوة لأتنازل عن طلبى ؟

- لا تقولى مثل هذا الكلام.

- على أى حال أنا أقوله الآن بلا غضب .. على العكس أنا أقبل الرشوة. لكن لابد أن تكون كبيرة وذات قيمة.

ابتسم حسين متوجسا، متعجبا من طريقة هناء فى الحديث.

- ماذا تطلبين ؟

- الشقة .. تكون باسمى.

ضحك - باسمك أو باسمى يا هناء. فهى شقتنا معا ..

- هى شقتك وحدك. أنت الذى أثثتها وأجرتها دون علمى وضد رغبتى.

- وما يدرينى. ربما أنت أيضا بعد حصولك عليها تطلبين الطلاق وتستولين عليها وتتزوجين عشيقك.

ابتسمت هناء دون انفعال غضب. هزت رأسها.

قالت ـ اطمئن أنا لست جادة فى طلب الشقة. فقط قمت باختبار صغير على طريقتك. مثل تلك الاختبارات الكثيرة التى قمت بعملها معى، كم تسليت على حساب مشاعرى، وكم بكيت من كلماتك الساخرة واختياراتك الجارحة، أنا لا أعاتب الآن .. عاتبت كثيرا بلا فائدة.

نظر حسين إلى المرأة التى تجلس أمامه، وتأكد يقينه أنها فعلا تغيرت. فهى ليست البنت الخجولة الضعيفة التى تنهار فى ثورة غضب يائس. وليس هو الرجل الداهية الذى لا يحتار فى معاملتها. صمت قليلا بشعور أنه يستطيع أن يضعفها لتنطوى.

قال ـ فكرى يا هناء بعقلك .. وليس بعواطفك.

ـ فكرت كثيرا بعلقى، ولا يوجد حل إلا انفصالنا..

ـ الطلاق يعنى؟

ـ نعم..

ـ ومن الذى يتحمل أمراضك؟

ـ أنا لست مريضة. وأنت بنفسك صحبتنى إلى طبيب صديقك وتجاهلت نصيحته. وشعرت أنك تتعمد العمل بعكس

نصيحته لأبقى أنا أعانى من أمراض غامضة ليس لها سبب عضوى واحد..

قال وقد بدأ يفقد هدوءه.:

ـ وهل هى شغلتى أن أخرجك يوما فى الأسبوع وأنزهك.. هل أنا معين لنزهة الهانم حتى تهدأ أعصابها والعمل على راحتها .. ولماذا لم تعملى أنت على راحتى؟!

ابتسمت هناء بهدوء ساخر . قالت :

ـ راحتى .. راحتى. صدعت رأسى بهذه الكلمة. ليكن أنا لم أعمل على راحتك وأنت لم تعمل على راحتى لأننا لم نتوافق معا. ولا يوجد أمل بيننا.

قال ـ لنخرج من هنا.

ابتسمت هناء ـ على راحتك..

جلست بجانبه فى السيارة، قادها إلى العمارة التى اكتمل بناؤها وتوقف.

قال ـ انظرى يا هناء إلى شقتنا المضيئة. ألم تتمنى يوما أن تسكنى فى مثل هذا المكان الجميل.. أمامك حديقة وأشجار.

هزت رأسها بأسى ولم ترد. شعر أنها بدأت تضعف.

قال - سأجرى العملية وننجب ولدا. وبنتا. أو اثنين. لم تلتفت إليه هناء وقالت :

- أنت تعرف أنك لن تنجب . وأنا عرفت هذا ايضا.

- من قال لك هذا السخف.

- أبوك.

قال هامسا - الجنرال الصعلوك..

ثم التفت اليها - متى قال لك .. ولماذا لم تخبرينى لأصحح لك معلوماته الخاطئة.

- لا داعى لهذا الحديث الآن .. هذه ليست المشكلة.

- لابد أن أعرف .. متى قال لك..

- بعد أن اشتريت هذه الشقة.



"كنت عندكم فى البيت. جاءك ضيوف، فجلست مع الجنرال فى الشرفة. سألنى لماذا أصررت على أن نعيش

وحدنا.. قلت له.. لنبقى أحباب كلنا. قال إننا سنتركه وحده فى شيخوخته، والولدان من يراعيهما. قلت له لن نترككم وحدكم أبدا.. وسنزورك دائما، وستسعد بأحفادك الجدد. تبدلت لهجته المسكينة إلى لهجة مغيظة مستهجنة وقال إنك لن تنجب. قلت له واثقة. أنك ستجرى عملية جراحية. قال مؤكدا أنك كاذب.. لم أنم ليلتها. لا أستطيع أن أصف لك مشاعرى. بعدها سألتك أن تعيش معنا فى البيت وتجرى العملية لتنجب طفلا يكون فى رعاية أمى إلى أن نذهب شقتنا. يومها ثرت ورفضت فكرتى. لأنى كما قلت لى لم أطع رغباتك فكيف تطيع أوامرى أو رغباتى. يومها تأكدت من كلام الجنرال. وفهمت لماذا تهرب. حتى وصل هروبك وقتها إلى أوروبا.

❀ ❀ ❀

قال حسين ـ هل هذا السبب الأساسى لطلبك الطلاق الآن؟

ـ لا .. لقد فكرت وحدى فى هذا الموضوع. وقلت إننى أستطيع أن أعوض الخلق الطبيعى بالخلق الفنى، وهذا قدرك. وربما كان هذا قدرى فهل كنت ستتركنى بسببه؟!

قال ـ طبعا لا .. أنا لم أرد اجراء العملية رأفة بك وبصحتك، فأنت ضعيفة جسمانيا، ولن تتحملى.

ـ قلت لى هذا الكلام من قبل .. بل أفزعتنى بسؤال ماذا لو جاء الطفل مشوها.. أو متخلفا. أو عاجزا. وسألتك بدورى لماذا التشاؤم. وهذا يحدث نادرا.

قاد سيارته إلى منزلها. توقف أمام الباب .. التفت إليها..

قال ـ فكرى يا هناء فى طلبك.

ـ فكرت كثيرا.

ـ هل أخذت رأى أمك واخوتك.

ـ لم أسالهم رأيهم فى الزواج، فلماذا اسألهم فى الطلاق.. هذه حياتى ولا أحد يشعر بها سواي.

ـ أنت مجنونة. هل نسيت أنك بعد سنتين ستصلين إلى سن الأربعين؟!

ـ وما الضرر فى هذا ..؟!

ـ لن تجدى من يتزوجك.. وأخاف عليك من الانتحار.

ـ هل سمعت يوما أننى حاولت الانتحار؟

ـ لم أسمع لكن هذا يمكن حدوثه معك.

ـ لست ضعيفة كما تظن .. وبى ايمان لم تعرفه.

قال غاضبا ـ هل تظنين أنى لعبة فى يدك. تعال تزوجني فأتزوجك. تعالى طلقنى فأطلقك.

ـ لم تتزوجنى بالسهولة التى تتحدث بها.

ضحك ضحكة قصيرة جوفاء.

قال ـ الأجدر بك أن تحتفظى بالرجل الذى حصلت عليه بصعوبة.

ـ كانت الصعوبة أكثر وأكبر فى التفاهم والتوافق معك.

ـ يعنى مصرة على طلبك؟

ـ نعم.

ـ سأحدث اخوتك وعمك.

ـ تحدث مع من تريد أن تتحدث معه.



قاد حسين سيارته وهو يفكر فى كلام هناء. إنها أول مرة تنطق بكلمة الطلاق. لقد مرت بهما أزمات كثيرة ومشاحنات وغضب خلال سنوات زواجهما السبع ولم تطلب هذا الطلب. حتى لم تهدده به. لابد أنها جادة فى طلبها هذا الذى لم يتوقعه. فى أوقات كثيرة خلال هذا العام، كان يتعجب من سلوكها، فهى لم تعد تثور بسبب الشقة. واعتقد أنها غيرت سلوكها بالهدوء والصمت لتقربه إليها .. وكان يتعجب لماذا تحاول ارضاءه ثم ترفضه فى الفراش ؟! لم يسألها عن سبب هذا الذى قالته هذا المساء. حقيقة يومها رأى دموعها متجمدة فى عينيها وهى تؤنبه. لكنه لم يفكر أن مثل هذا الحدث التافه يمكن أن يغيرها هكذا.. كل زوج يمزح مع زوجته ولا يمكن أن يكون هذا السبب الحقيقى لابد أنها أحبت رجلا آخر. والازدواجية فى العلاقة ليست من طبيعة امرأة مثل هناء.. تكدر حسين لهذا الخاطر. وخبط على عجلة القيادة. "لا يمكن أن أطلقها لتذهب لرجل آخر". لكن من هو هذا الآخر؟. "سأبحث عنه إلى أن أجده وأعمل لها فضيحة بجلاجل".

أسلوبها فى الحديث تغير .. مع سلوكها الهادئ. كأنها كبرت فجأة. هناء الوديعة الضعيفة أصبحت فجأة كأنها امرأة لها تجارب. لابد أن هذا بتأثير الرجل الآخر.. فلا يمكن أن تطلب الزوجة الطلاق إلا إذا كان فى حياتها رجل آخر. اتفقت معه، والزوج المسكين لا يدرى. يظن أن تغير زوجته من أجله. لتجذبه إليها. والحقيقة أن تغيرها بسبب رجل آخر، ومن أجل رجل آخر.. لماذا لم تهتم الآن بالشقة ؟. لابد أن هذا القواد له شقة.. هذه الغبية. ألا تعرف أن مثل هؤلاء الرجال لا يتزوجون عشيقاتهم لكن من هو هذا الآخر؟.

ووصل حسين إلى منزله وهو على هذه الحالة من الغم والحيرة والغيرة. وجد حجرة أبيه مضاءة. كان يستمع إلى برنامج فى الاذاعة ويقرأ جريدة فى فراشه. وضعها جانبا عندما رآه، ولاحظ تكدره. سأله. "مالك؟".

- لا .. لاشئ ..

وسأل عما إن كان قد اتصل به أحد.

قال الأب ـ هناء اتصلت بك بعد أن نزلت مباشـرة سـألتها إذا كانت تريد شيئا. قالت إنها ارادت أن تذكرك بموعد. قلت لها إنك ذهبت إلى الخواجة لتجدد عقد إيجـار الشـقة وستذهب إليهـا فى الموعد.

نظـر حسـين مغتاظـا إلـى أبيـه، وتهـالك علـى مقعـد أمـام فراشــه وتسـاءل.. "لمــاذا قلـت لهـا؟" .. وتذكـر أنهـا كـانت واثقـة وهـى تقـول لـه إن العقـد الـذى فـى جيبـه لتجديـد الإيجـار وليـس لانهائـه.

قال له الأب فى غضب واضح. إنه مادام هو يخـاف ولا يريد أن يخبرها. فلابد أن يخبرها أحد. ومادامت هى لا تفهم أن زوجها يعوض خسارة مالية كبيرة بتأجير شقة فلابـد أن يفهمهـا أحد. فهذا النوع من النســاء الأنانيـات لا ينظـرن إلا لمصلحتهـن ويردن الاستئثار بأموال أزواجهن.. "ألا تعرف أن هذه الأمـوال التى خسرتها ليست أموالك وحدك. وأن فيها ما يخص اليتيمين؟"

ظل حسين ناظرا لأبيه بعد أن انتهـى مـن كلامـه ثـم قـال بهدوء تراجيدي:

ـ هناء تطلب الطلاق ..

صمت الجنرال للمفاجأة. ثم قال غاضبا .. في داهية" دعها تبريك وطلقها بلا وجع دماغ".

نظر إليه حسين . قال ـ هناء مهمة فى حياتى.. لا يمكن أن أطلقها.

قال الأب غاضبا متهكما :

ـ وما دامت هى مهمة هكذا. لماذا لم ترحها فى حياتها وتعمل لها بيتا تستكين معها فيه. أو تقنعها بالحياة معنا. مهمة فى حياتك وتتركها هكذا سبع سنوات هذا كلام قوادين.

قام حسين غاضبا، متعجبا من كلام الجنرال المتناقض، هاجمها ثم دافع عنها وهاجمه هو خلال لحظات. ولم يفهم هذه الصحوة التى جاءت لأبيه فجأة كالصدمة فشعر بتضحية هناء وعذابها وانتظارها سنين بجواره.. اتجه إلى حجرته. نظر إلى فراغها بشئ من الأسى كأن هناء كانت موجودة فيها دائما ثم أخذت حقيبتها وتركته فى هذا الفراغ الهائل.



عندما نزلت هناء من سيارة حسين شعرت أنها خفيفة.. وأيقنت أن هذا القرار الذى ألقت به هذا المساء كانت حمولته الثقيلة تجثم على قلبها وتثقل حركة جسدها وتشعرها أحيانا بهذا الثقل على رأسها، كأنها تحمل العالم. أنبت نفسها لماذا لم تلق بهذا الثقل من فترة بعيدة لتشعر بهذه الراحة، لكنها حاولت، خلال هذا العام كله حاولت كثيرا.. كم من المرات سألها حسين متهكما.. ماذا تريد؟ .. فتكاد تقول له .. أريد الطلاق.

حتى وهما يتناولان الطعام، ويجدها تنظر إلى الأطباق ولا تتناول شيئا منها. فيسألها ماذا تريد؟ .. تكاد تقول له .. أريد الطلاق.. ومع ذلك لم ترد أن تنطق بالكلمة قبل أن تعد نفسها بقوة نفسية وصحية. فلو أنه قال لها منذ شهور إنه يوجد رجل آخر فى حياتها، أكانت تماسكت بهذه القوة الهادئة، وابتسمت لهذا الاتهام كما فعلت هذا المساء؟.. كان لابد أن تتحمل ثقل هذا القرار إلى أن تستجمع القوة والشجاعة والاقتناع الكامل لتلقيه وتنفذه.

نظرت هناء إلى مرآتها. ابتسمت. حقيقة لماذا هى جميلة هذا المساء؟ فتحت باب الشرفة فى حجرتها. كانت

الريـاح قد هدأت منـذ الغـروب. نظـرت إلـى السـماء. صافيــة. خلـت مـن السـحب والغيـوم. مضيئـــة بضـــوء القمــر الــذى لا تـراه. كـل شـئ سـاكن. هـــادئ. كـم كـان الجـو مختلفــا فــى الصبــاح.. كـم كــانت هــى مختلفــة فــى الصبــاح. الآن هـــى هادئـة. صافيـة. مضيئـة. مثـل هـذا الكـون..

"لأى ذكرى الحنين يجرفنــى. وأى أيـام أريدهـا أن تعـود. أين أنت يا أبى لتقف بجوارى. فلم تعد الحياة جميلة كمـا كـانت. ولم تأت باستقرار كما يجب أن تكون.. لكـن لمـاذا ضـوء القمـر يثيرنى بحنين غامض. ويملأ قلبى بطاقة حب للمجهول؟"

غيرت هناء ملابسها. غسلت وجهها. إستلقت فـى فراشـها لتقرأ قليلا. لتسـتجدى النـوم لكنـه جاءهـا بـلا اسـتجداء. ونـامت براحة غريبة لم تشعر بها من زمن بعيـد. ولـم تشـعر بقلـق بمـا يمكن أن يكون.

❀ ❀ ❀

تصفـح حسـين جريــدة الصبـــاح، ونـــادى علـــى "حـــلاوة" لتحضر له التليفون والنوتة التى بها أرقام التليفونـات. احضـرت له ما طلـب وتلكـأت قليـلا إلـى أن خـرج الجنـرال العجـوز مـن

حجرة المعيشة وسألت حسين. هل حقيقة ما قاله البيه الكبير أن الست هناء تطلب الطلاق ؟! رمقها بنظرة كسولة مغتاظة وأمرها أن تهتم بعملها فقط وتحضر له كوب شاى.

بحث بين أسماء أصدقائه. وطلب رقما. رحب بالصوت الذى رد عليه وسأله عن أحواله وأعماله. ثم سأله إن كان يعرف صاحب شركة "خوفو" السياحية، ولما اجابه بالإيجاب، سأله أن يحدث الرجل ويعطيه اسمه وأنه سيذهب إليه اليوم ليحدثه فى أمر خاص. أو يأخذ منه موعدا فى أقرب وقت. ولما سأله الصديق إن كان ينوى عمل شركة سياحية. ضحك ضحكة قصيرة جوفاء، ولم يعطه جوابا شافيا، وقال إنه سيحدثه بعد قليل ليعرف الموعد.

دخلت "حلاوة" إلى الحجرة تحمل كوبين من الشاى، وتبعها الجنرال. جلس على مقعده المفضل الوثير وسألها أن تناوله الجريدة. أدار حسين رقما آخر، رحب بالصوت الذى رد عليه. وسأله إن كان يعرف أحدا فى دار نشر.. وهمس باسم دار النشر التى تعمل بها هناء حتى لا يسمعه الجنرال الذى كان يتظاهر بالقراءة. ولما اجابه الرجل بالإيجاب قال له إنه سيمر

عليه اليوم ليحدثه فى أمر خاص. ثم اتصل بالرقم السابق، جاءه صوت صديقه. ويمكنه أنه يمر على الرجل صاحب شركة السياحة اليوم أو غدا، فهو موجود بصفة دائمة هذه الأيام. شكره ووضع السماعة. التفت الى أبيه فوجده ينظر إليه نظرة شاكة. وسأله ما الذى يريد أن يصل إليه؟! سأله حسين بدوره ماذا يقصد؟ فقال الأب متهكما إنه يعرف ماذا يقصد.

رشف حسين من كوب الشاى. وقال لأبيه.. إنه ما من امرأة فى هذا العالم تطلب الطلاق من زوجها إلا ويكون فى حياتها رجل آخر. وشرح للجنرال خطته فى اكتشاف هذا الرجل الذى وراء طلب هناء للطلاق. وهو سعيد بخطته الجهنمية. استمع الاب اليه باهتمام ثم قال له إنه ليس رجلا.. وإذا كان رجلا ما كانت امرأته تنظر لآخر .، وأنه بدلا من البحث وراءها فى كل مكان، عليه أن يصالحها ويرضيها ويريحها فى حياتها. وإنه إذا لم تكن هناء من عائلة كريمة أصيلة لكانت فضحته فى كل مكان وقاضته فى المحاكم. وما كانت تحملت سخافته سبع سنوات؟!

منذ ليلة الأمس وحسين يتعجب من موقف أبيه المتغير المتناقض تجاه هناء. فما هو السبب الذى جعله يدافع عنها، وقد كان يهاجمها حتى ليلة الأمس وقبل أن يخبره مباشرة بطلبها الطلاق؟! نظر إلى ساعته ولم يرد أن يضيع الصباح فى مناقشته مع أبيه. وقرر أن يؤجل معرفة الاجابة على سؤاله فى وقت آخر. وعلى أى حال فالجنرال يهوى المعارضة ومعارضته هو بالذات.



قامت هناء منتشية من نومها العميق، لحظة وهى مازالت بين النوم واليقظة، شعرت بطيف من السعادة كنسمة هواء منعشة تهف عليها ثم تختفى. لحظة شعرت انها بمجرد أن أبدت طلبها الطلاق فإنه قد تحقق. وأنها أصبحت حرة ثم أيقنت مع يقظتها أن هناك طريقا صعبا وعقبات، فحسين لن يلبى طلبها بسهولة، ومع ذلك شعرت أنها بمجرد اخباره برغبتها، فهى لم تعد مرتبطة به وتركت فراشها بحيوية.

قبل خروجها إلى عملها. طلبت أرقام عمها، وجاءها صوته نائما، وقال بمجرد أن رفع السماعة أنه سيذهب إلى

الاستديو فى الموعد .. "أنا هناء يا عمى" .. ربما انزعج الرجل لمكالمتها فى هذه الساعة من الصباح فسألها على الفور إذا كان الجميع بخير. طمأنته، واعتذرت لمكالمتها المبكرة حتى تضمن وجوده، وانها تريد أن تراه. أخبرها أن لديه عملا فى استديو "الأهرام" طول اليوم وإذا أرادت الذهاب إليه فى أى وقت تشاء. فرحت هناء بفكرة الذهاب إلى الاستديو وأخبرته أنها ستذهب إليه بعد انتهائها من عملها.

سارت هناء فى الطريق مرفوعة الرأس وبها الشعور بالخفة والنشاط. إنها الآن صاحبة قرار. ابتهجت لهذه الفكرة. توجهت مباشرة إلى حجرة رئيسها فى العمل وصديقها. نظر إليها وسألها عن سر ابتهاجها، فقالت مباشرة وبفرحة إنها طلبت الطلاق. صمت قليلا وسألها أن تجلس وتشرب معه قهوة وتوضح له أكثر.

كان الرجل يعرف جزءا كبير من عذاباتها، ونصحها كثيرا أن تعمل على تحقيق املها فى الرسم. وكم من المرات كادت أن تنهار أمامه باكية، ويرى آثار دموعها أو لمعان عينيها بدموعها المحبوسة. وكم تألم من أجلها، وكان ينصحها

احيانا أن تصبر، فليس من السهل على رجل مثل حسين عاش الجزء الأكبر من حياته حرا أن يتقبل فكرة الاستقرار بسهولة. وأن كل شئ سيتحقق لها مع الوقت.

وقد صرخت يوما فى وجهه انها كرهت هذا الوقت الذى يمر عليها ولا يتحقق شئ. وكان يمنع نفسه من سؤالها سؤالا يحرجها ويحيره.. لماذا تستمر فى حياة تعذبها؟! كان يفهم خوف هناء من الحياة بعد رحيل والدها. وكان يرجع تعلقها بهذه الرجل الذى تزوجته لسوء أحوالهم المادية. فهو يعرف أنها من عائلة عريقة لكنهم لم يرثوا شيئا سوى الكبرياء وعزة النفس، والمجتمع الآن لم يعد ينحنى لهؤلاء الناس، بل وجدوا أنه يلفظهم، وينحنى لأصحاب النفوذ المادى، بصرف النظر عن أى بيئة خرجوا منها وأى تعليم حصلوا عليه وأى أخلاق يتعاملون بها. ولم يعد الرجل يسأل عن أصالة العائلة التى يريد أن يناسبها. بل يسأل ماذا تملك هذه العائلة وكم تملك؟! وربما أدركت هناء هذه الحقيقة، ووجدت هذا الرجل الذى اهتم بأصلها وتربيتها ولم يهتم بما سترثه .. فتعلقت به هذا التعلق اليائس.. وهو من هؤلاء الذين ينحنى لهم المجتمع، فتعلقت به على أمل

أن ينحنى لها المجتمع بالتبعية، وظلت معلقة فى الهواء، لا تصل إلى مكانة تريدها، ولا تنزل إلى أرض واقعها لتواجه طموحها الخاطئ . وظلت فى هذا الضلال سبع سنوات، فما الذى جعلها تفيق فجأة، هل ظهر لها ارث كان مختفيا أم أحبت رجلا آخر؟!

قالت هناء لصديقها ملخصا لحياتها التى يعرف أشياء كثيرة منها. وأخبرته أن هذا القرار قد اتخذته منذ أكثر من عام، لكنها لم تعلنه إلا بعد أن تأكدت من حقيقة شعورها وصدق قرارها.

سألها - هل يوجد رجل آخر؟

هزت رأسها .. لا .. كنت سأقول لك..
فكر قليلا ثم سألها - ماذا تنوى أن تفعلى بعد الطلاق؟

قالت بمرح إنها ستهتم بعملها أكثر وسترسم اعمالا فنية تحلم بتنفيذها.

سألها بتعاطف - وماذا عن حياتك الخاصة.

ابتسمت - لا أدرى. لكن لا تخف فأنا لن أغلق باب قلبى على لا شئ. ولم أتعقد من الزواج. وهل أنا تزوجت حقيقة؟!

هز الرجل رأسه موافقا على جملتها الأخيرة. وتمنى لها التوفيق. المهم أن تجد نفسها ولا تضل طريقها مرة أخرى. ولابد أن تطلعه على أخبارها وأنه سيقف بجانبها.. شكرته وخرجت إلى حجرتها.

❀ ❀ ❀

ذهب حسين إلى مقر شركة "خوفو" للسياحة وسأل عن صاحبها ومديرها. سلم على الرجل وذكر اسمه، فقام مرحبا، وقال إن صديقه الذى حدثه عنه من أعز الناس. وإنه فى الخدمة، فماذا تريد؟

قال حسين محاولا التبسط مع الرجل واستمالته. إن كل زوج يغار على زوجته خصوصا إذا كانت جميلة ويحبها وهو باختصار يريد أن يطلع على اسماء الذين سافروا فى رحلة "قبرص" فى أول يونيه العام الماضى التى كانت فيها زوجته. فقط ليطمئن أنه لم يكن فى صحبتها شخص ما. وأنه لا يشك فى سلوكها لا سمح الله. هو فقط يريد أن يطمئن.

رفع الرجل سماعة التليفون وطلب أحد العاملين ليحضر له كشف الأسماء بالرحلة المذكورة، ورمق حسين بنظرة شاكة وسأله، ولماذا لم يسأل عن كشف الاسماء فى ذلك الوقت. ولماذا أيضا لم يسافر معها. لقد كانت رحلة رائعة فعلا .. قال حسين كاذبا إنه كان بالخارج فى ذلك الوقت، وكان لديه أعمال، فهو بصفته رجل أعمال فسفرياته للعمل، ولم يجد الوقت لمصاحبة زوجته فى نزهة.

جاء شاب وسيم يحمل دفترا فيه أسماء الذين اشتركوا فى رحلاتهم السياحية أعطاه للرجل. ونظر حسين إلى الشاب الوسيم نظرة متأملة لا تخلو من الشك.

فتح الرجل الدفتر على اسماء المشتركين فى رحلة يونية الماضى ووضعه بينه وبين حسين ليقرأ معه. وعلم من توضيحاته أن المجموعة كانت من الأزواج والزوجات وبعض الأطفال وطالبين فى المرحلة الثانوية. وهناء الأنصارى. زوجته .. قرأ حسين أسماء الأزواج. لا يعرف أحداً منهم. واستبعد أن يكون رفيق رحلة هناء

أحد الطالبين الصغيرين. ثم سأل الرجل إذا ما كان الشاب الوسيم الذى أحضر الدفتر مرافقا لتلك الرحلة؟!

رمقه الرجل بنظرة مستاءة وقال إنه هو شخصيا كان مرافقا لتلك الرحلة مع زوجته وطفليه. وإنه عرف السيدة هناء عن قرب وإنها ليست بالمرأة التى يشك فى سلوكها. وهى الوحيدة من مجموعة نساء الرحلة التى ارتاحت لها زوجته وصادقتها. ولا تدرى لماذا لم تتصل بها بعد ذلك مع أنها قد وعدتها بزيارتها.

"ويا أستاذ حسين أنت رجل أعمال وفى السوق ويمكنك أن تميز الفرق بين نوعيات الناس".

ضحك حسين هذه الضحكة القصيرة الجوفاء وقال .. "أنت تعرف النساء ألغاز. لا تستطيع أن تفهمهن. أحيانا تكون الواحدة مثل قطعة السكر وأنت لا تدرى أنها تدبر لك مكيدة أو تضمر لك شرا". قام الرجل لينهى هذه الزيارة الصباحية حتى لا تطول وتعكر عليه يومه. مد يده مصافحا وهو يقول لحسين "أرجو أن تبلغ سلامى للسيدة هناء".

خرج حسين من شركة السياحة وهو يشعر ببعض الحرج والغيظ، كان يجب عليه ألا يتسرع، وأن يرسل أحدا يثق فيه ليقوم بهذه المهمة، ولم يكن هناك داع لأن يعرض نفسه لمثل هذا القواد المهذب لنقد تصرفاته بطريقة ملتوية. على أى حال سيأخذ حذره فيما بعد.. فى رحلة بحثه عن عشيق زوجته.



لم تستطع هناء الانتظار إلى أن تنتهى ساعات عملها. فذهبت إلى رئيسها المباشر للمرة الثانية فى هذا اليوم وسألته أن تنصرف، فليس لديها عمل عاجل لتنجزه، وتريد الذهاب لمقابلة عمها. سألها أن تحدثه فى بيته إذا كان لديها أخبار جديدة. شكرته وخرجت.

انتظرت قليلا فى حديقة الاستديو إلى أن ينتهى عمها من تصوير مشهد فى الفيلم الذى يجرى تصويره منذ يومين وعندما شاهدت وجوها معروفة لممثلين يخروجون من باب جانبى. قامت تبحث عنه. وكانت مفاجأة له أن يراها قبل موعدها فاحتضنها وقبلها وهو يخفى دهشته من زيارتها له فى عمله،

فهى منذ تزوجت لم تفاجئه بمثل هذه الزيارة، وصحبها إلى حجرته التى يستريح فيها، وأغلق الباب خلفهما.

جلست هناء تراقب نظرات عمها المتسائلة، وهو يحدثها حديثا عاما عن العائلة، فى انتظار أن تحدثه عن سر زيارتها المفاجئة.

قالت ـ أنا طلبت الطلاق .. وأريدك أن تقف بجانبى ..

ـ مبروك.

ابتسمت هناء. لقد كانت تعد دفاعا عن نفسها فى حالة تأنيب عمها لها. لكنه وبدون أن تدرى كان يشعر بآلامها وعذابها، حتى أنه بارك لها. ولم يؤنبها.. وأعرب العم عن شعوره. هذا. وأن رجلا مثل زوجها حسين، وفى مركزه الاجتماعى والمالى، ولا يعمل لها بيتا لمدة سبع سنوات ويتركها مشردة هكذا. لا زوجة ولا مطلقة، لابد أن يطلب منه الطلاق.. أخبرته هناء أن حسين سيذهب إليه. وطمأنها عمها أنه سيقف بجوارها، وإذا لم يوافق حسين على الطلاق فى هدوء سيذهب معها إلى أحسن محام فى البلد.

كان العم منفعلا عندما فتح رجل باب حجرتـه، ثـم اعتـذر وهو ينظر للعم نظرة فهم معناها فابتسم وناداه.

"هناء ابنة المرحوم أخى"."وهذا هو المخـرج الـذى يعذبنـا باعادة التصوير". صافح المخـرج هنـاء وقـال ضاحكـا إنـه ظـن أنها الحب الجديد للأستاذ الأنصارى. وقالت ضاحكة.. "يا ريت" نظر إليها المخرج وقال : "الآنسة لابد فنانة" قال لـه عمهـا إنهـا فعلا فنانـة. رسـامة وتعمـل فـى دار نشـر تصمـم أغلفـة الكتـب. سـألها المخـرج إذا كـان يمكنهـا أن تصمـم اعلانـات فيلمـه فهـو يحتاج لاعلانات فنية. اعتقدت هناء أنه يجاملها فابتسمت موافقـة بلا اهتمام. لكنها فؤجئت بالرجل يحدثها بجدية أنـه فعـلا يحتـاج إلى فنانة مثلها لتصمـم لهـم الاعلانـات، ولـن تجـد صعوبـة فـى ذلـك، فـاعلان الفيلـم مثـل غـلاف كتـاب تقـرأه وترسـم غلافـه وسيحدث المنتج عنها. والذى تطلبه سيدفعونه لها..

قالت ضاحكة : "ربما لا أكون عند حسن ظنك".

نظر إليها الرجل وقـال إن كـل شـئ يوحـى بحسـن ظنـه. أولا هذه الألوان التى اختارتها بدقـة وتناسـق لملابسـها. وعمهـا أحسن مصور وفنان. ويعرف أن والدها كان فنانـا أيضـا. فلابـد

أن تكون عند حسن ظنه .. ثم التفت إلى عمها وسأله أن يقنعها بالعمل معهم وأن التصوير سيبدأ بعد عشر دقائق، وعليه أن يستعد. وخرج.

نظرت هناء إلى عمها متسائلة فابتسم وهو يقول لها إن الرجل فنان حقيقى وله نظرة لا تخيب فى الناس، وقد اقتنع أنها يمكن أن تصمم له اعلانات لم تحدث من قبل، فلماذا لا تجرب؟ وافقت هناء فرحة ثم سألت عمها بمرح متى يكف عن مغامراته العاطفية ويتزوج؟ ضحك الرجل الذى تجاوز الخمسين بخمس سنوات وقال إنه إذا وجد امرأة مثلها سيتزوجها فى الحال. بالرغم من أنه قد تعود على حياته هذه .. ثم ضحك.

"هل تذكرين يا هناء وأنت صغيرة كنت تقولى سأتزوج عمى" نظرت إليه باعجاب وضحكت للذكرى. "طول عمرك تحبين الرجال الكبار حتى وقعت فى شر أحلامك"! وضحكا ثم تفحصها بنظرة جادة. "لا تخفى عنى شيئا".

- ماذا سأخفى

- هل يوجد رجل آخر؟

هزت رأسها بالنفى.. وبدأت تتعجب بينها وبين نفسها.. لماذا يسالونها هذا السؤال؟ نظرت إلى ساعتها وقبل أن تصافح عمها كان المخرج أمامها مرة أخرى وفى يده أوراق مطبوعة. فى دوسيه "هذه هى قصة الفيلم "تناولتها من يده مبتسمة وهى تقول إنها ستقرأها لترى إن كانت تستطيع أن تفعل شيئا. قال الرجل مؤكدا أنها ستستطيع، وأنه رجل جاد والذين يعملون معه لابد أن يكونوا جادين فى عملهم وفى مواعيدهم. وعليها أن تحضر لهم تصميمات الاعلانات بعد اسبوعين. سلم عليها. ثم نظر إلى عمها "هذه مسئوليتك" وخرج من الحجرة.

ابتسم العم وهو يربت على كتفها "الحركة فيها بركة" وسار معها إلى الباب الخارجى للاستديو، ونصحها أن تعمل فى هذا المشروع بجدية، ربما يفتح لها أبوابا أخرى، ثم سالها إذا ما كانت أخبرت أمها واخوتها بقرارتها. هزت رأسها بالنفى.. ربت عليها وقال إنه سيذهب إليهم بعد يومين ليعرف أخبارها، ولا تخاف من شئ.

سارت هناء وهى تحتضن قصة الفيلم وقد شعرت بقوة نفسية انعكست على جسدها، حتى خيل إليها أنها يمكن أن تسير من شارع الهرم إلى منزلها فى الزمالك وبدون تعب .. أشارت

إلى سيارة أجرة، وجلست بجانب السائق ودهشتها مازلت معها.. فكرت فى الحكمة التى قالها عمها. الحركة فيها بركة. فهل كان يعنى أن حركتها من مكان إلى مكان فتحت لها مجالا للعمل والرزق. أم كان يعنى بالحركة طلبها الطلاق، ستسأله عندما تراه ماذا يقصد بهذه الحكمة. المهم أنها أعجبتها ولابد أن تستمر فى الحركة لتحقيق طلبها بالطلاق. لن تستكين لهذا اليأس القاتل المسمى بالانتظار. لقد انتظرت طويلا لتحقق حياتها الزوجية انتظرت من حسين أن يحقق رغبتها وأملها فى تأسيس بيت ولم يحقق شيئا. فهل ستنتظر أيضا ليحقق رغبتها فى الانفصال. ستتحرك. ولن تهدأ.

❀ ❀ ❀

كان حسين فى سيارته فى طريقه إلى بيت صديقه سيد فى أول شارع الهرم، فهو الوحيد الذى يمكن أن يساعده فى هذه المشكلة الجديدة التى أثارتها هناء.. ويمكن بمعاونة زوجته التى تحبها أن تثنيها عن قرارها.

كان المرور مختنقا عند نفق الهرم، توقف بسيارته ونظر إلى الجانب الآخر إلى السيارات القادمة من الشارع، ولدهشته

ولزيادة الشكوك فى نفسه وجد هناء جالسة فى سيارة أجرة بجانب السائق. تنظر أمامها إلى شئ بعيد، وربما إلى لا شئ.. وضع يده على بوق سيارته ليلفت نظرها، فتذمر صاحب السيارة التى تقف أمام سيارته وأشار له بيده أن يهدأ.

لم تكن هناء فى عملها اليوم.. أين كانت؟! لم يفكر حسين أن أخوها الكبير يسكن فى شارع الهرم، ولم يفكر فى عمها الذى يعمل فى استديوهات الهرم، أو حتى فى صديقه سيد وزوجته. لابد أنها كانت مع عشيقها تخبره بأنها ألقت القنبلة فى وجه زوجها. هل كانت فى نزهة معه.. هل كانت فى بيته.. أين كانت هناء؟!

نظر فى ساعته، مازال على موعد انصرافها من العمل نصف ساعة، وضع يده مرة أخرى على بوق سيارته، لتتحرك السيارات بسرعة أكثر. أشار له صاحب السيارة التى أمامه مرة أخرى أن يهدأ .. ولم يهدأ .. ضحك الرجل.. "سيارتى بلا أجنحة" وشتمه.

وصل حسين إلى بيت "سيد" وهو على هذه الحالة من التوتر والشك، لم يسأل الشغالة عن أصحاب البيت، بل سألها أن

تحضر له التليفون.ثم سألها كأنه تذكر شيئا فجأة : "هناء كانت عندكم"؟! أجابت بالنفى.. طلب دار النشر التى تعمل بها هناء.

"كانت موجودة فى الصباح وخرجت عند الظهيرة".

جلست زوجة سيد أمام حسين تراقبه وهو يتحدث فى التليفون، فقد أخبرتها الشغالة أنه سأل عن زوجته بعصبية ونفت أنها كانت فى زيارتهم. ولما انهى مكالمته سألته "مالك"؟

- الست هناء طالبة الطلاق. ويظهر أن لها عشيقا..

نظرت إليه المرأة بلا ارتياح وسألته إن كانت زوجته أخبرته بوجود رجل آخر.

- طبعا لا .. لكنها طلبت الطلاق. وسلوكها متغير. والآن وجدتها فى سيارة أجرة.. كانت فى الهرم. كانت مع عشيقها.

- أخوها ساكن فى شارع الهرم.

رفع حسين سماعة التليفون وطلب رقم بيت أخيها. لم يجده.. وهناء لم تكن هناك طلبت زوجة سيد بالتليفون.. هناء فى منزلها، ولما سمعت صوتها عاتبتها أنها لم تذهب لزيارتها مع أنها كانت قريبة منها، فقد شاهدتها فى سيارة أجرة أثناء

تجولها فى المحلات التى فى أول الشارع لشراء بعض الأشياء.. استمعت المرأة قليلا إلى حديث هناء.. ثم قالت لها إنها ستحدثها فى المساء مادامت لا تستطيع أو لا تريد أن تزورها اليوم.. ثم رمقت حسين مستاءة وهى تنهى المكالمة.

"هناء كانت عند عمها فى استديو الأهرام".

قال غاضبا .. "هناء تكذب. منذ زواجنا لم تذهب لزيارة عمها فى أى استديو".

قالت المرأة وقد ظهر التحدى فى صوتها. "اخبرتنى بطلبها الطلاق، وكانت عند عمها ليقف بجانبها".

فتح سيد باب الشقة وسمع صوت زوجته بهذه العبارة. سلم على صديقه وسأل ما الخبر؟!

قال سيد وهو يخلع معطفه إنه كان يتوقع هذا.. ثم جلس وهو ينصح صديقه أن يهدأ. وأن ما طلبته هناء.. يحدث عادة بين كل زوجين بعد سبع سنوات من الزواج وهذا ما يسمونه "هرشة السنوات السبع" وطمأنه أنها ستهدأ بعد أن تمر ذكرى زواجهما السابعة.

قامت زوجة سيد وهى تقول "المسألة مختلفة مع هناء" لم تفصح أكثر من ذلك وتركتهما لتعد طعام الغداء.



جلست هناء مع أمها وقت العصر فى حجرة المعيشة تشربان القهوة. "يا أمى أنا طلبت الطلاق".

خلعت الأم نظارتها التى كانت تقرأ بها فى مجلة. نظرت إليها واغرورقت عيناها بالدموع.. قامت هناء جلست بجانبها تربت عليها ألا تحزن "على العكس أنا فرحانة" ثم احتضنت ابنتها وهمست "ربنا يتمم على خير" تعجبت هناء من شعور أمها وتمنياتها التى تقال عادة لخبر الزواج وليس الطلاق!! لكن لماذا تتعجب .. أليس هو شعورها أيضا. فهذا القرار غمرها بشعور فرحة الاقبال على أشياء جديدة. كأنها ستنتقل إلى بيت كانت تحلم به. أو إلى عالم جديد تماما عن عالمها. وعندما تتنبه لنفسها لحظة.. تقول إن هذا قرار انفصال وليس انتقال إلى بيت أو عالم جديد. ويصيبها الشعور بالدهشة. فهذا القرار بالمفهوم المتعارف عليه معناه الفراغ. والوقوع فى هوة سحيقة من

الوحدة. وتتعجب من نفسها. فهل لهذه الدرجة تعبت وتعذبت ويئست حتى أنها تستقبل الفراغ بهذه الغبطة؟!

قالت هناء لأمها إنها لا تريد أن يتدخل أحد من أخوتها فهى قررت ومصممة على تنفيذ قرارها، وعمها سيقف بجانبها.

❀ ❀ ❀

فى المساء طلب حسين هناء. حاول أن يكون لطيفا فى حديثه. حاول أن يثنيها عن طلبها، لكنه وجدها مصرة.

"والأفضل أن ننهى هذا الموضوع فى هدوء، وبلا مشاكل. وكلما ستزيد من فترة المراوغة سيزيد اصرارى، ولنكن صديقين هذا أفضل".

"وإذا رفضت الطلاق"

"ستخسر"

"لن أخسر شيئا سواك يا هناء"

ابتسمت وكادت أن تضحك. مرت فترة صمت. شعر أنها ستضعف.

"فكرى يا هناء قبل أن تعلنى الخبر وتندمى بعدها".

"فكرت كثيرا".

"أراك غدا"

"لا داعى لمقابلاتنا"

- نلتقى غدا فى بيت سيد!

"الأفضل أن نلتقى عند المأذون الذى زوجنا".

❀ ❀ ❀

لابد أن يجده .. "من تحت الأرض لابد أن يجده". كان حسين يسمع هذه العبارة من أبيه ضابط البوليس المتقاعد عندما كان فى الخدمة، وهو يأمر أى شرطى أو ضابط صغير ليبحث عن مجرم. وكان الرجال لا يعودون إلا ومعهم المجرمون الذين يعثرون عليهم "تحت الأرض". وهو لابد أن يجد هذا العاشق الذى سلب قلب زوجته وجعلها تصر على الطلاق. مجرم ولابد أن يجده. "من تحت الأرض لابد أن يجده".

واستعان بأصدقائه من الضباط المتقاعدين الذين طردوا من الخدمة أو استقالوا برغبتهم أو بدون رغبتهم وأصبحوا

يعملون بالتجارة. من ناحية لكثرة معارفهم، ومن ناحية أخرى لاستمرار صلتهم بأصدقاء يعملون فى المباحث والشرطة.. ومادام يؤدى لهم خدمات حيوية فى العمل فلن يبخلوا عليه بهذه الخدمة الخاصة.

من مخابراته الخاصة فى دار النشر التى تعمل بها هناء. علم حسين أن علاقتها عادية بزملائها، لكنها مع رئيسها المباشر أكثر من عادية، فهناك ود خاص بينهما. تذهب إليه كثيرا فى حجرته، ويتحدثان وحدهما بالساعات. وهو الذى يساندها فى العمل، حتى أنه أخيرا اختارها لتكون رئيسة القسم مكانه عندما يترقى ويقوم بعمل أكبر فى دار النشر بعد شهرين. وسيزيد مرتبها تبعا لمركزها الجديد. لكن هذا الرجل متزوج وله ثلاثة أبناء أكبرهم فى الجامعة، فهل يمكن أن يكون هو؟!. ومن التحريات الخاصة. علم أن هناء صديقة لزوجته أيضا، وقد زارتها فى بيتها منذ أسبوع.

من مخابراته الخاصة فى نادى الفنون الحديثة.. علم أن هناء تتردد على النادى بصفة منتظمة، منذ عام تقريبا. تجلس وسط مجموعة من الفنانين والفنانات، يتحدثون فى أمور الفن

والحياة، وتوصلها سيدة محترمة من الرسامات بعد اجتماعهم الأسبوعى، حيث إن منزل هناء فى طريقها. والسيدة تملك سيارة "فيات" قديمة. ولم تقابل أحدا من الفنانين على انفارد، ولم يوصلها أحد بسيارته حيث إن معظمهم لا يملك سيارة.

من ملاحظاته الشخصية. لاحظ حسين أن أحد أصدقائه من الذين يجتمع بهم ليلعبوا الورق سأل عن هناء كثيرا فى الشهور الماضية، وأعاد السؤال بالحاح منذ أسبوع. وكان هذا الرجل يغازل هناء عندما كانت تصحبه إلى جلساتهم، كان ينظر إليها وهو يلعب الورق، ويغنى أغنية قديمة لعبد الوهاب "كلنا نحب القمر .. والقمر بيحب مين". وكانت هناء تستمع إليه باعجاب، وقالت له يوما إن صوت هذا الرجل يذكرها بأبيها.. سأل حسين صديقه وهم يلعبون الورق.. "لماذا لم تعد تغنى أغنيتك المفضلة.. كلنا نحب القمر؟".

ورد عليه الرجل. "لأن القمر ليس موجودا بيننا". وسأله مرة أخرى عن هناء.

ومن تحرياته الخاصة. علم أن الرجل له مغامرات نسائية خاطفة، لكن من نوع معين من النساء، هؤلاء اللاتى يلتقى بهن

فى الملاهى الليلية، وأن الرجل لا يبقى على علاقة مستديمة مع أى امرأة، لأنه فى نفس الوقت يخشى روجته.. فليس من المعقول أن يكون على علاقة مع هناء تصل إلى درجة طلب الطلاق. فالرجل يحب اللهو ولا يحب المشاكل.. وهو رجل سفيه ينفق كثيرا من النقود التى يكسبها من التجارة فى الملاهى الليلية مع أصدقاء آخرين، يرفض حسين مصاحبتهم إلى مثل هذه الأماكن المضيعة للوقت والمال.

وإذا كانت مخابراته الخاصة، وعيونه التى فى كل مكان تذهب إليه هناء لم يجدوا عشيقا لها. فلابد أنه خارج نطاق هذه الاماكن. ومحتمل أن أحد هؤلاء الكتاب ومؤلفى الكتب التى ترسمها لهم زوجته. فليجرب مراقبة شخصية لتحركاتها.. فلابد أن يجده.. "من تحت الأرض لابد أن يجده".



"خرجت من دار النشر، قبل موعد الخروج بساعة.. سارت فى شارع"

قال حسين لا أريد أسماء شوارع.. أريد أن أعرف أين ذهبت، ومن قابلت".

"سارت إلى ميدان التحرير. وقفت تنتظر المرور عبرت من جهة مسجد عمر مكرم. سارت، وقفت تقرأ اسم المتوفى فى مقابلة صيوان عزاء.. سارت إلى كورنيش النيل.. وقفت تنظر إلى النيل. أخذت نفسا عميقا..".

قال حسين متذمرا. "يا بنى آدم .. لا أريد هذه التفاصيل".

" يا بيه أنا عملى دقيق ومضبوط.. دعنى أكمل ولا تشتت أفكارى.. وقفت تنظر إلى النيل.. سارت. اتجهت إلى كوبرى المريديان.. سارت فوقه. دخلت فندق المريديان. تجولت فى الدكاكين هناك .. اشترت مجلة فرنسية من المكتبة. ذهبت إلى الكافيتريا.. جلست فى مواجهة النيل.. طلبت عصيرا.

سأل حسين . "قابلت أحد".

"أنا جاى لسيادتك.. تصفحت المجلة. أغلقتها. نظرت إلى النيل. شربت العصير. نظرت إلى ساعتها. نادت على البنت الجرسونة. تحدثت معها وضحكت. دفعت لها الحساب. قامت. خرجت من الفندق. جاءت سيارة أجرة. نزل منها ركاب.. صعدت إليها.. لم أجد سيارة أجرة أخرى.. جريت خطوتين ناديت على السائق.. توقف وسألنى أين سأذهب. قفزت بجواره

وقلت له نوصل الهانم وبعدها أذهب مشواري.. لكزتني الهانم في كتفي، سألتني .. لماذا تتبعني؟ .. قلت لها إني لا أتبعها. قالت إنها تجدني منذ الصباح في كل مكان تذهب إليه.. لم أرد. ونظر إلى السائق مبتسما. قالت الهانم.. قل للأستاذ حسين عيب هذه الحركات.. تظاهرت بالدهشة.. من حسين؟.. قالت .. حسين عبد العال .. بعدها صمتت. ذهب التاكسي إلى الزمالك؟ وقالت له على مكان منزلها. قبل أن تنزل قالت لي.. لا تنسى أن تقول للأستاذ حسين عيب هذه الحركات".

سأله حسين "وماذا قلت؟"

"قلت لها .. حاضر".

قال حسين غاضبا" أما إنك قواد حمار".



ولم تنجح هذه الحيلة أيضا في العثور على عشيق هناء. لم تقابل رجلا خلال الثلاثة أسابيع الماضية. منذ طلبت الطلاق. منذ امتنعت عن مقابلة حسين أو استبقاله في منزلها. وقد قالت له خلال محادثة تليفونية من هذه المكالمات التي يطلبها في أوقات مختلفة من النهار والليل ليعرف ما إذا كانت موجودة أو

فى الخارج. قالت له نفس الكلمات التى قالتها للمخبر.. "عيب يا حسين هذه الحركات".

اتجه إلى صديقاتها. وجدهن بلا استثناء يدافعن عنها وعن موقفها. وقد واجه حرجا شديدا لعدة مرات أثناء المقابلة التى تمت بينه وبين صديقتها الطبيبة فى عيادتها الخاصة بأمراض النساء والولادة. كان الرجل الوحيد الذى دخل بمفرده إلى حجرة الكشف. قابلته الطبيبة بترحاب لا يخلو من البرود. وقال معتذراً إنه لن يأخذ الكثير من وقتها.. هو فقط يريد أن يسألها عن صديقتها هناء.

"ماذا تريد أن تعرف والمفروض أنك تعرفها أكثر منى؟!".

"هناء مصابة بالبرود الجنسى وأريدك أن تعالجيها بدون احراج لها".

نظرت إليه الطبيبة نظرة فاحصة كأنها تكشف عليه. وركزت على مكان من جسده. مما جعله يشعر بالحرج.

قالت "لا تقل هذا يا أستاذ حسين. أنت تسب نفسك لا توجد امرأة باردة جنسيا إلا إذا كانت مريضة بمرض عضوى.

وهناء والحمد لله ليست مريضة. وقد كشفت عليها أكثر من مرة. وتكوينها العضوى أيضا سليم. برودها منك أنت يا أستاذ حسين.. وأعتقد أنه من معاملتك لها".

شعر حسين بالحرج. وقال إن زوجته ترفضه منذ أكثر من عام، وليس لها عشيق.. حتى أصبح يشك أنها مصابة بالشذوذ الجنسى!..

"فكيف تتحمل امرأة هذا لمدة عام.. البنت ممكن .. لكن المرأة .. أنت أدرى منى يا دكتوره".

ابتسمت الطبيبة ببرود.

"امرأة فى حساسية زوجتك يمكنها أن تتحمل لمدة ثلاث سنوات وخمس أيضاً .. وليس عاما واحدا .. فالجنس بالنسبة لها ليس مجردا. هو مكمل لعاطفة الحب. هل تدرى من أين تنبع الرغبة الجنسية يا أستاذ حسين؟!"

وضع حسين ساقا فوق ساق بحركة لا شعورية حتى يتفادى نظرة الطبيبة إليه مرة أخرى .. ونظر إليها فوجدها تشير إلى رأسها.. ثم قلبها.. ثم إلى ما تحت بطنها.

"هكذا تكون الرغبة السليمة. والصحبة تنبع من أعلى إلى أسفل. وليس العكس. التفاهم العقلى، مع عاطفة الحب المتبادلة يصنعان الانسجام الجنسي الصحى. أما حكاية الشذوذ الجنسى هذه. فأنا أعرف هناء منذ كنا صديقتين فى المدرسة الابتدائية وسافرنا معا فى رحلات ومعسكرات أثناء الدراسة. كنا كلنا بنات. اطمئن زوجتك ليست شاذة جنيساً.."

وعندما قام حسين لينصرف . قالت له الطبيبة"

"استاذ حسين. طلق زوجتك. فهذا خير لك ولها"

لم يرد. وخرج.



أثناء تحريات حسين عن هناء، قابل اخوتها الثلاثة، كل على حدة.، شكا لهم مر الشكوى من اختهم، وأنها غاضبة منذ أجر شقتهما مفروشة، والمفروض أن تقف الزوجة بجانب زوجها فى أزماته المالية. لا تغضب منه هكذا. وإن كان أخوها الكبير تعاطف معها والأخوان الآخران استمعا إليه بنصف أذن إلا أنهم اشتركوا فى اجابة واحدة انهم لم يتدخلوا فى زواجها.

ولن يتدخلوا فى طلاقها، فهى أدرى منهم بما تريد لحياتها. ومع ذلك حاول الاخ الأكبر أن يثنيها عن قرارها وفشل.

أما مقابلة حسين لعم هناء. فكانت على غير ما يتوقعه. لقد استقبله العم بترحاب شديد.. "وأين أنت يا حسين، لماذا لا تزورنى من زمن؟"..

"أنا جئت إليك لأن هناء تحبك ويمكن أن تستمع لك.. أولا أريد أن أشكوها لك".

"يا رجل لا تشكو من النساء، فهن يجملن حياتنا"

"هناء جعلت حياتى جحيما منذ طلبت الطلاق"

"طلقها واسترح"..

"أطلقها .. لقد جئت اليك لتنصحها وتعيد اليها عقلها!"

"أقول لك شيئا. لقد ربى أخي ابناءه وبالذات ابنته على صدق المشاعر. وأن القرار السليم لا ينبع إلا من مشاعر صادقة، وإذا لم يشعر أحدهم بصدق مشاعره فالأفضل ألا يقرر. وعندما قررت هناء الزواج منك كانت مشاعرها صادقة. لذلك أنا متأكد أن قرارها بطلب الطلاق نابع من مشاعرها الصادقة."

"أنا لا أفهم كلامك"

"أنت لم تفهم مشاعر هناء"

"الذى أفهمه أنها عنيدة وستحطم نفسها بعنادها. وأنا أخاف عليها".

هز العم رأسه وابتسم:

"أنا مطمئن على هناء .. ولن تحطم نفسها، فلا تخف عليها".

وكانت جملة العم الأخيرة تحمل أكثر من معنى فهمه حسين فلم يزد فى الحديث.

❀ ❀ ❀

"يا هناء اسمعينى. لا تنهى المكاملة هكذا. أخوتك وعمك وصديقاتك لا يحبونك. ويشجعونك على الطلاق لأنهم يغارون منك. لأنك تزوجت من رجل فى مثل مركزى المالى والاجتماعى. وستعيشين حياة أحسن منهم".

ضحكت هناء : "إذا كان هذا صحيحا لكانوا دفعونى إلى الطلاق منذ العام الأول لزواجنا".

"مـن الـذى يدفعـك يـا هنـاء لطلـب الطـلاق بهـذا الاصـرار؟"

"أنـت".

❀ ❀ ❀

قال الجنرال وهو يرمق ابنه بنظرة ماكرة :

"صفاء عادت من امريكا وطلبتك.. تريدك أن تتصل بهـا. سألتها عن ابنها هناك فقالت إنه أصبح من المليونيرات"

"أرجوك إذا اتصلت مرة أخرى .. قـل لهـا إنـك لا ترانـى هذه الأيام .. أو أنى مسافر".

قال الأب متهكما :

"أليست هذه هى المرأة التى تفهمك وتقدرك .. والتى كنت تغيظ بها زوجتك وتقارنها بها؟!"

"لا أريد أن أحدثها. أو أراها الآن"

"وما أخبار هناء؟"

"مازالت عند موقفها"

"طلقها"

"وماذا يقول الناس؟!"

❀ ❀ ❀

قالت علية لأختها حورية :

"حسين صرف دم قلبه على هناء. واشترى شقة كتبها باسمها. هو قال لى، لما نصحته ـ قال .. وليه أنا أجبرت جوزى أنه يكتب الشقة باسمى. وده من حق هناء.. وكانت رافضة تسكن معاه بعيدا عن أمها وأخيها، لأنه كان يصرف على بيتهم. أصلهم يا أختى انكشفوا بعد موت أبيها. لا أرض ولا بيت، ولا حتى مليم فى بنك ورثوه. منظر على الفاضى.. وبعد ما لهفت منه الشقة أجرتها مفروشة، وعملت لها قرشين.. طلبت الطلاق. له حق أخونا أنه يرفض يطلقها، إلا إذا تنازلت له عن كل شئ".

قالت حورية لأختها :

"يا أختى عندنا بنات. وحرام نسيب بنات الناس معلقة. لازم نضغط على حسين أن يطلق هناء مادامت مصرة. والست منا لما تكره ترمى كل شئ.

وتوقف الحديث بينهما عندما سمعا صوت حسين وهو ينادى "حلاوة" لتحضر صندوقا من سيارته.

ذهبت إليه مكدرة وهمست له:

"الست حورية وصلت الظهر. والست علية هنا. وربنا يفوت اليوم على خير".

احتضنت حورية أخاها وقبلته، واعربت عن قلقها عليه منذ طلبها أبوهم فى التليفون وأخبرها بهذه الأخبار، ولولا انشاغلها مع الأولاد لجاءت على الفور من البلد.

"ولا يهمك طلقها وأنا أزوجك أحسن منها".

جلس حسين يستمع إلى خزعبلات الأختين ورأيهما فى ضرورة زواجه مرة ثانية حتى يثبت للناس أن العيب ليس منه فى فشل زواجه الأول بل العيب من هذه المغرورة التى لم تقدر قيمة رجل مثله.

وانضم الجنرال العجوز إلى جلستهم، وقال إنه لا يستطيع أن يفهم لماذا يتمسك رجل بامرأة لا تريده؟!

قالت علية لأبيها بخبث أنثوى صريح إنه لابد من وجود أشياء مهمة بينهما، ويريد حسين أن يحصل عليها قبل أن يطلقها.

قال الأب : إن هناء لا تريد شيئا من حسين، لم يفصح أكثر من ذلك وخرج من الحجرة تاركا علامات التساؤل على وجوههم.

❀ ❀ ❀

"الآن يحدثنى برقة .. لكن أذنى مسجل فيهما صوته المرتفع .. المتغطرس. المتهكم.. كم من المرات أردت أن أصرخ فى صوته أن ننتهى من مأساة زواجنا الآن وحالا. الليلة قبل الغد. لكن الكلمات كانت تختنق بدموعى وينعقد لسانى. كم من المرات انعقد لسانى ولم أستطع أن أتحدث، وخيل إلى أننى إذا استمررت فى الحياة معه سأفقد النطق تماما.

"الآن يحاول أن يرضينى. إذا كان حاول ارضائى صادقا من زمن كنت لبيت بفرحة، كانت أرضى صالحة. أرض عواطفى ونفسى. أما الآن فأنا أعرف لماذا يقول هذه الكلمة.

ولماذا يتصرف هذا التصرف. لم يعد حسين يؤثر فى. وما أتعس الرجل عندما لا يستطيع أن يؤثر فى امرأته.

"الآن يسألونى لماذا؟ .. الم أحلم بالصحبة؟

نعم كنت أحلم بها، لكنى لم أوفق فى اختيارى. وبدأت تنهار أحلامى بهذا الحائط الذى بناه بينه وبينى. وعندما زاد ارتفاع الحائط. لم أعد أراه. لم أعد أسمعه. ولم تعد بيننا صحبة.

المشكلة ليست فى اختلاف عقلية جيلين، كما قال صديقه سيد. المشكلة فى اختلاف أسلوبنا فى الحياة، وطريقة تفكيرنا وبالتالى عدم توافقنا.

"زوجتك يا سيد فى مثل عمرى. وأنت فى مثل عمره ومنسجمان تماما.. فلا تغالط"، عندما كنت صغيرة. تعجبت من زوجة أحد الباشاوات، كانت تسكن قصرا وتقول الجدران باردة.. تعجبت كيف تترك امرأة هذه الحياة الفخمة لتتزوج من رجل بسيط وتعيش فى حجرة.. كنت لم أنضج بعد. عندما كنت صغيرة تعجبت من فتاة تسير مع شاب بجوار النهر فى ليلة باردة ويجلسان على حجر بارد..

تعجبت كيف تخرج فتاة فى هذا الصقيع وتضحك.. كنت لم أنضج بعد.. عندما كنت صغيرة تعجبت من حكايات نساء هربن من الفراش الدافئ بجوار أزواجهن وحياة مستقرة فى بيوتهن.. كنت لم أنضج بعد.

وعندما نضجت خلال الألم ومعاناة الوحدة. فهمت لماذا تركت المرأة قصرا. ولماذ جلست الفتاة على حجر بارد فى الصقيع، ولماذا هربت النساء من الفراش الدافئ بحوار ازواجهن. فهمت معنى أن تكون الجدران باردة ومعنى أن يكون الانسان وحيدا وهو فى صحبة.. فهمت هذا التغير الذى يحدث لانسان مشرق بالحياة متناغم معها ثم يخبو اشراقه ونضيع نغمته لحلوة عندما لا يتسطيع التكيف مع رفيقه. فهمت بلادة الاستسلام وقاومت دوامتها حتى لا تسحبنى إلى قاعها المميت المظلم.

طلبنى الجنرال العجوز وحدثنى بود وحب تعجبت لهما. وقال إنه سيذهب بنفسه لطرد ساكن الشقة ويمزق تجديد عقد إيجارها. شكرت الجبرال على مودته ورفضت عرضه.

وقلت له لا أريد شيئا سوى الطلاق.

فماذا يشكل البيت وهو يضم صحبة متنافرة، يائسة فى أبسط علاقة بينهما وفى أعمقها؟!

"قالت زوجة أخى الأكبر إنه لا يصح أن أطلب الطلاق. فأنا كبرت وهذا الرجل آخر فرصة لى.. ليكن اخر فرصة. لتنطبق السماء على الأرض، وليكن آخر رجل فى العالم ولتحتفظى بنصائحك لنفسك..

سألنى جارنا الذى قابلت عنده حسين منذ سنوات أول مرة. هل استقررنا فى بيتنا مع أمى. وكيف حال حسين؟.. لما كنت أراه نادرا، لوجوده معظم وقته فى أرضه الزراعية، سألته ألم يقابله اخيرا؟.. قال إن أعماله معه انتهت من مدة طويلة ولم يعد يقابله. فقلت باقتضاب. إننا سننفصل. قال الرجل إن حسين ليس من ثوبنا. ونصحنى ألا أحزن.. ولم أفهم ماذا يقصد من معنى الثوب.

"الآن يسألوننى .. هل يوجد رجل آخر فى حياتى؟!.. يبدو أنه كان لابد من وجوده. يعترفون بالدافع الخارجى. أما الدفع الداخلى فهو حقيقة غير واضحة.

قالت صديقة إننى عكس الناس، فقرار الزواج يتخذونه بدافع ذاتى وقرار الطلاق يتخذونه بدافع خارجي. وربما لم يصدقوا أنه لا يوجد آخر، ففرحتى بقرار الطلاق حيرتهم.

"بين المناظر الطبيعية الخلابة فى جزيرة قبرص، فى الفندق المرتفع، وأصوات العالم تصل إلى أعلى الجبل كهمسات الملائكة، تمنيت أن يكون بجانبى رجل أحبه ويحبنى فى هذه الجنة. ويعيد لقلبى نشوة خفقاته. ويعيد لجسدى نشوة ارتعاشاته.. لم تشاغلنى صورة رجل محدد. وخفق قلبى لمجهول غير محدد الملامح، ونظرت إلى ثنائيات الصحبة المنسجمة بدهشة. ودعوت لقلبى ألا تنضب نبضاته.

عدت من الرحلة منتشية وجاء ليرانى. تشاجر معى حول شئ تافه فأيقنت أننى قد نزلت من هدوء الجنة. لا أذكر حول أي شئ تشاجر. من كثرة مشاجراتنا، لم أعد أذكر أسبابها.. ومن كثرة ما بكيت قبل أن أنام، لم أعد أذكر فى الصباح، لماذا بكيت فى الليلة الماضية.

"الآن يسألنى .. أليست سنوات طويلة مضيناها معا.. ألا تندمين على ذكراها؟! .. نعم سنوات طويلة.. تغير فيها العالم

كله. تحولت حياة.. نضبت حياة .. ونضجت حياة. وبقيت حياتنا معا متوقفة مكانها.

لم أخنه كما ظن وظل يبحث ورائى هو الذى خذلنى وخان أحلامى. كل انسان له مميزات وسيئات. لم تنم مميزاتنا معا. نمت سيئاتنا معا. وأصبحت الحياة بيننا صعبة..

فكرت كثيرا.. هل الناس عبارة عن خطوط متوازية. وكيف يتم لقاؤها؟. لابد من بناء جسر بين خطين متوازيين ليلتقيا .. كلما بنيت جسرا يتصدع ويقع. تحاشيت عيوب البناء الأول والثانى والثالث والرابع والخامس والسادس.. فهل العيب فى البناء أم الأرض هى التى غير صالحة بين هذين الخطين المتوازيين فلم يصلح بناء جسر بينهما؟ .. وكان لابد لأحدنا أن يضع حدا للأشياء غير الصالحة فأخذت الخطوة.

"ذهبت إلى قبر أبى لأطلعه على قرارى. كانت الشمس ساطعة والجو بارد، ولكنه كان منعشا فى هذا المكان البعيد الصامت. استنشقت الهواء النقى وجلست أمام القبر فوق قطعة من الحجر الأبيض. أحضر لى الحارس مقعدا ورفضته شاكرة، وقلت له 'ريد أن أبقى وحدى. ابتسمت وأنا أسترجع وجه أبى

الباسم. أخذت قرارى يا أبــى .. ولأول مـرة كـانت نظرتــه مبتسمة. هذه النظرة التــى حـاولت استرجاعها فـى زياراتى لـه خلال السنوات الماضية، ولم أفلح فى استرجاعها. ربما كان يرد إلى نظراتى الحزينة الباكية. فلم استطع تخيل ابتسامته.

"فهمـت الآن يـا أبـى سـر نظرتـك الأخــيرة الحزينــة وأنـا أودعك.. كنـت تشعر بـالقرار الـذى اتخذتـه قبـل رحيلـك مباشرة. وربمـا بوضـوح بصـيرتك فـى تلـك اللحظـة رأيـت أننـى سـأتراجع عـن قـرارى بسـبب رحيلـك، فكـانت نظرتـك الحزينة التــى لـم أحتملها

وانفرجت شفتاك لتقول لى شـيئا. لـم أفهمـه. ولـم أسـمعه. وظننت أنك أردت أن تبتسم ولم تستطع. فهمت الآن يا أبى سر نظرتك الحزينة".. وابتسم وجه أبى..

ضممت ذراعى حـول صـدرى. قمت وأنـا أشـعر براحـة غريبـة تضمنـى. ابتسـمت للحـارس وقـال إن الأمـوات أيضـا يرتاحون لزيارة أعزائهم لهم.

"بكيت لعمى وأعربت عن خوفى. لقد مر شهر على طلبى الطلاق ويمكن أن يتركنى حسين سنين أخرى معلقـة. ولـم يهدأ

عمى، بالرغم من انشغالاته. بالتفاهم حدثه. بالحيلة حدثه. وبالتهديد أيضا. إلى أن رضخ، واتفقنا على يوم نلتقى لنذهب إلى المأذون الذى زوجنا لينهى علاقتنا.

❀ ❀ ❀

"لم أذهب إلى عملى فى الصباح، ولم يكن أحد فى البيت. وضعت التليفون فى حجرة أمى وأغلقتها. كنت أريد أن أبقى وحدى. شعرت بالحزن كشئ مبهم يلف قلبى وأحشائى. ليس هو حزن بسبب ندم على شئ طلبته. لكنه بسبب الآمال الخائبة والوعود التى لم تتحقق، والحياة التى تخيلتها على غير ما حدثت.. والضيق الذى لازمنى زمنا..

بقيت وحدى فى الصباح أستمع إلى اغان عاطفية وموسيقى. كأنى على موعد حب وليس موعدا للانفصال. ارتديت رداء لا أحبه، ونزلت عندما لمحت سيارة عمى.

سألنى لماذا مضطربة، قلت مخاوفى ألا يحضر حسين فى الموعد، وتذكرت بأسى خوفى يوم عقد قراننا.. ألا يحضر..

اقترح عمى أن ننتظره أمام مكتب المأذون الشرعى .. لنصعد معا، مادمت خائفة ألا يحضر.. وجاء متأخرا كعادته وكان معه زوج أخته علية.

قال حسين قبل أن نصعد، إنه يريد بعض أشيائه التى عندى وإلا لن يطلق.. فتح عمى صندوق سيارته، وأخرج حقيبته التى كنت قد أعددتها له بهذه الأشياء التافهة التى وضعها شرطا أخيرا لطلاقنا!.

فتح الحقيبة ورأيت الدهشة على وجه عمى وهو يرى محتوياتها.. كاد أن يقول شيئا فنظرت إليه متوسلة أن يصمت، وابتسم عمى ابتسامة ساخرة.

صعدنا إلى حجرة ضيقة.. بها مكتب صغير قديم وخزانة حديدية، وكنبتين عربيتين، الواحدة فى مواجهة الأخرى، كان جالس متربعا فوق إحداها رجل كبير معمم نظر إلى مجموعتنا، أغمض عينيه قليلا ليضيق من حدقتيهما. ليركز على وجوهنا. سألنا وهو يسبح على حبات السبحة المعلقة فى يده.. "زواج إن شاء الله؟"..

قال عمى .. "طلاق"..

همهم الرجل "أبغض الحلال".

سألنا أن نجلس إلى أن يحضر ابنه فهو الذى يسجل العقود. جلست بجانب عمى فوق الكنبة المواجهة للرجل. وجلس حسين فوق مقعد خشبى بجانب المكتب، وجلس زوج أخته بجوار الرجل المعمم الذى نظر إلى عمى.

وسأله ... هل حاولتم التوفيق بينهما؟ أجاب عمى بالإيجاب.. همهم الرجل .."لأحاول أنا"..

ونظر إلى وهو يضيق من حدقتيه .. "يا ابنتى"..

قلتُ مقاطعة قبل أن يلقى على محاضرة لن أعمل بها ولن أفهمها .."يا سيدنا لن أستطيع الحياة معه".

صمت الرجل، وأدار نظراته بين الرجال الثلاثة وسأل. من الزوج؟ .. أجابه حسين. هز الرجل رأسه ثم قال لننتظر ابنه. وأغمض عينيه. وأخذ يتمتم ببعض الآيات القرآنية ويسبح.

"شعرت باختناق. وربما حاول عمى أن يزيل جو التوتر فتحدث عن الفيلم الذى يصوره. أعجب زوج أخت حسين بحديث عمى عن هذا الجو الساحر الذى يعمل وسطه. انطلق عمى فى الحديث. وانطلقت مخاوفى لتزيد من اختناقى. ثم التفت

إلى وقال إن الاعلانات التى صممتها أعجبت المنتج ويريدنى أن أقوم بتصميم كل اعلانات أفلامه القادمة. تدخل حسين فى الحديث وسألنى بتهكم منذ متى وأنا أقوم بتصميم اعلانات؟!.. لم أرد.. وقال له عمى ببساطة. منذ اليوم الذى طلبت منك الطلاق..

أفاق الرجل المعمم على كلمة طلاق. وفتح عينيه وكأنه مازال يغلقهما وسأل.."ألا يستطيع أحدكما التوفيق بينهما"؟

ناوله عمى وثيقة زواجنا كإجابة على سؤاله. حدق فيها الرجل وهز رأسه وجاء ابنه. سلم علينا. جلس خلف لمكتب القديم. فتح الخزانة الحديدية وهو يسألنا.. "زواج إن شاء الله؟".

قال أبوه .. طلاق .. ثم التفت إلى وسألنى

"ماذا تريدين من زوجك يا بنتى؟"

قال حسين قبل أن أجيب: "هى التى طلبت الطلاق فلن تريد شيئا".

نظر إليه الشيخ مستنكرا : "لماذا يا رجل. ألم تعاشرها سبع سنوات بحلوها ومرها لماذا لا توفي لها بحقها؟".

قال حسين :"ليس لها حقوق عندي. هى التى طلبت الطلاق".

سألنى الرجل :"هل تبريه يا بنتى؟"

قلت على الفور : "نعم لا أريد منه شيئا"

قال الرجل لحسين : "هى موظفة. ادفع لها نفقة بسيطة تركب بها تاكسى"..

قال حسين متهكما . "هى غنية لا تحتاج لنفقتى. والآن تعمل فى السينما".

نظر الرجل إلى ابنه الجالس خلف المكتب وأمره أن يخرج سجلات الطلاق. وطلب بطاقات تحقيق الشخصية.. ولم يخف تعجبه من حسين أنه لم يستخرج بطاقة عائلية بالرغم من عدد سنوات زواجنا.

ضحك حسين هذه الضحكة القصيرة الجوفاء. وقال إن وقته مزدحم بالعمل.. همهم الرجل بكلمات مستنكرة. وبدأ يملى على ابنه وثيقة الطلاق. ثم سألنى أن أردد وراءه..

"برأتك يا زوجى حسين عبد العال محمد، من مؤخر صداقى ومن نفقة عدتى حتى تنتهى منك شرعا وسألتك الطلاق على ذلك".

ثم سأل حسين أن يردد وراءه. أننى طالق منه على ذلك. كتب مسجل العقود ما أملى عليه، وأعطانا الوثيقتين لنوقع عليهما.. وبدأ شعور الاختناق يتركنى بهدوء كأنه كان يدا أطبقت على عنقي وبدأت أصابعها تبتعد عنى الواحد وراء الآخر.

نظر إلى الرجل الكبير وسألنى أن أنتظر، وأمر الرجال أن يخرجوا.. مددت يدى أسلم عليه وأشكره. أخذها بين يديه وقال: "لا تحزنى يا ابنتى .. ربنا يعوضك عن هذه الزيجة الخائبة، وإن شاء الله أنا الذى سأعقد قرانك". ابتسمت لمشاعر الرجل وشكرته مرة أخرى.

نزلت الدرجات إلى الطريق. وجدت الرجال الثلاثة ينتظروننى وعمى يحدثهم عن الفيلم الذى يصوره كأنه كان يصور مشهدا من هذا الفيلم وليس شاهدا فى طلاق.

مددت يدى لأسلم على حسين. مد يده إلى وهو يقول "سنبقى أصدقاء أليس كذلك"؟

هززت رأسى موافقة. مجاملة. وأنا أتمنى ألا أراه بعد هذا اليوم، ولا ألتقى به صدفة. ولا تضايقني صورته فى أحلامى..

سألنى عمى إذا كنت أريده أن يوصلنى بسيارته. شكرته. أردت أن أسير وحدى".



سارت هناء. خطوتها سريعة. مرحة. نسمات من الهواء رطبة. منعشة تربت على وجهها. تداعب شعرها. تعلن لها بفرحة أن ليالى الشتاء الباردة قد ذهبت. مشاعر كثيرة شعرت بها. اختلطت وامتزجت. لم تدمع عيناها كما توقعت. وقفت أمام محل لبيع الزهور. انتشت برائحتها ودخلت. اشترت مجموعة من "الورود والزهور وتذكرت.. كان يوم عقد قرانها بلا زهور. لتكن الزهور فى هذا اليوم .. وابتسمت.

لم يكن أحد فى البيت فأمها عند أخيها الأكبر منذ يومين، وربما تعود فى الغد. وأخوها الذى أصبح أستاذا يلقي محاضرات فى جامعة الاسكندرية يومين فى الأسبوع ولحسن حظها وقع هذا اليوم ضمن اليومين اللذين يمضيهما فى الاسكندرية. لم تخبر أحدا بما سيحدث اليوم ربما خافت ألا يحدث.. شعرت براحة أنه لا يوجد أحد فى البيت، ووزعت الزهور والورود على حجراته. خلعت الرداء الذى لا تحبه، ووضعت لوحة بيضاء فوق حامل الرسم. أدارت موسيقى تحبها وغنت. تذكرت أنها لم تأكل جيدا طول اليوم، فأعدت لنفسها وجبة عشاء شهية أخذت كوب شاى ساخنا وجلست أمام اللوحة البيضاء. نظرت إلى الخطوط التى كانت قد وضعتها على ورقة لهذه اللوحة الفنية التى ملأت رأسها يوم طلبها الطلاق.

فى الخلفية أشجار جرداء وبيت محطم. أشلاء أشياء كثيرة تحيطها خطوط هائلة من خيوط العنكبوت، كأنها ستار كثيف يحجب كل الحطام. فى الوسط صورتها غير محددة الملامح. تسير وظهرها إلى هذه الخلفية. ترتدى رداء لونه وردى. فى مقدمة اللوحة اللون الرمادى

المائل إلى الأبيض. يتخلله شعاع من نفس لون الرداء. وردي. شعاع من ضوء الشمس. ضوء الفجر الذى يعلن عن ظهوره.

وبدات هناء ترسم. تغير شرائط التسجيل الموسيقية. وترسم. تبتعد قليلا عن اللوحة وتجلس مسترخية أمامها. ثم تعود لترسم.. ولم تدر بالوقت إلا عندما لاحظت ضوءا يأتى خلال زجاج النافذة الكبيرة فى حجرة المعيشة.

وقفت تتأمل الضوء إلى أن أصبح لونه ورديا. قارنته باللون الذى وضعته فى لوحتها. وفرحت أنها لم تخطئ.. خرجت إلى الشرفة وانتعشت بنسمات الهواء الرطبة، محملة برائحة أوراق الأشجار الجديدة بلونها الأخضر فى مرحلة طفولتها. شعرت هناء بنشوة أمل موعد. أمل يحيى نبضات قلبها بنغمة حقيقية صادقة. تشعر بها بوضوح أفكارها ونضوجها.

شعرت هناء بفرحة أصوات العصافير الصارخة كأنها تطلب من الربيع ألا يتأخر.. كأنهم جوقة يرددون

وراءها أمنياتها، ويطلبون من الأمل الموعود ألا يتأخر.
عادت إلى الحجرة. ونظرت بدهشة إلى ما أنجزته فى ليلة واحدة مالم تستطع انجازه فى ليال كثيرة سابقة..

ها هو ضوء الفجر فى السماء، وفى لوحتها يعلن لها بشئ من الغموض والفرحة، أن حياتها الحقيقية .. بدأت.

تمت

"زينب صادق"



كتب أخرى للمؤلفة

- ✽ يوم بعد يوم ..... رواية
- ✽ حكايات عن الحب ..... دراسة
- ✽ عندما يقترب الحب ..... قصص قصيرة
- ✽ هذا النوع من النساء ..... قصص قصيرة
- ✽ إنقذنى من أحلامى ..... قصص قصيرة
- ✽ لا تسرق الأحلام ..... رواية
- ✽ الحب والزواج ..... دراسة
- ✽ ضاع منها فى الزحام ..... قصص قصيرة
- ✽ إدارة العوطف ..... دراسة
- ✽ يوميات امرأة مطلقة ..... رواية
- ✽ أنت شمس حياتى ..... قصص قصيرة
- ✽ أمنيات فى ضوء القمر ..... قصص قصيرة